وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة–

كلية: الآداب واللغات **الرقم التسلسلي:**.....

قسم: اللغة والأدب العربي **رقم التسجيل:** م أ ع/2014/097

البعد الوطني في شعر أبي القاسم الشابي

– دراسة فنية نقدية –

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي **فرع:** أدب عربي **تخصص:** أدب حديث

من إعداد الطالبة:

– فاطمة الزهرة بوخاري

إشراف الدكتور:

بحوص زكري

تاريخ المناقشة: 2016/05/15.

أمام لجنة المناقشة:

1– د/ زكري بحوص مشرفا

2– د/ عوشاش خليفة ممتحنا

3– د/ دقي جلول رئيسا

السنة الجامعية: 2015– 2016

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا ، والقائل في محكم تنزيل

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ . . . . ﴾ الآية رقم: (07) سورة إبراهيم

أتقدم بخالص الشكر الجزيل و العرفان بالجميل و الاحترام و التقدير لمن غمرني بالفضل و اختصني بالنصح و تفضل علي بقبول الإشراف على رسالة الماستر أستاذي و معلمي الفاضل الأستاذ **"بجوص زكري"** الذي سهل لي طريق العمل ولم يبخل عليا بنصائحه القيمة ، فوجهني حين الخطأ وشجعني حين الصواب ، فكان قبس الضياء في عتمة البحث وكان نعم الناصح ومنحني الثقة و غرس في نفسي قوة العزيمة ولم يدخر جهدا ولم يبخل عليا من وقته الثمين

أبقاه الله ذخرا لطلبة العلم و جعل ذلك في ميزان حسناته و أرضاه بما قسم له

كما أتقدم بالشكر إلى الأستاذ **"درام الشيخ"** و كل أساتذة قسم الأدب العربي

وفي الأخير نشكر كل طاقم مكتبة المنتدى

مُقَدِّمَةٌ

مقدمة :

نالت قضية الوطن قسطا وافرًا من الشعر العربي عبر عصوره المختلفة ، فطالما حـــفِل وإعتـز العربـي بوطنـه وقبيلتـه وإنتمائـه ، يـرفض الاحـتلال بوطنـه و يريـد الحريـة والاستقلال لشعبه ويرفض الواقع المرير الذي يعانيه الشعب، داعيا إلى النضال من أجل العدل والاستقرار.

إن الوطنيـة إحساس عظيم يكتنـف النفس البشرية أو الإنسـان إتجـاه وطنـه الـذي يمثـل العـزة و الحريـة و الكرامـة وحتـى الحيـاة، فقد شـكلت موضـوعا دسـما فـي عصـرنا الحديـــث وألهمت الكثير من الشعراء، والشابي كغيره من الشعراء الذين تمسكو بقضايا بلدانهم فتغنوا وأشادو بالشعوب، وتحريكها، وأثارو الشعور فيها للنهوض من حياة الذل، القهر و الإستكانة ومن ثم الثورة على كل أشكال العبودية و الإستعمار.

و يعتبر أبو القاسم الشابي من المثقفين الذين تمثلت معالم المقاومة في شعرهم فقد هزت أبياته الأجيال ، فهو لم يكن من الشخصيات التي تغنيك منها الوقفة العاجلة، بل شخصيته غنية سخية، إذا عدت إليها مرة أخرى فلابد أن تخرج مصاحبتها بزاد جديد وثروة نفسية، هذا الشاعر الذي جاء صوته القوي في تونس الخضراء ليكسر قاعدة الإنتشار في الشعـــــــر العربي، فكان بشعره يقف في مصاف كبار جنود وسياسي العالم الثالث، فأخذ على عاتقه الرجعية والجهل، الظلام والتخلف وهذا يجعلنا نصل إلى السؤال التالي :

كيف تمثلت الوطنية في شعر الشابي ؟ .

ما المقصود بالشعر الوطني وما هي أهم الخصائص المميزة له ؟.

وتأسيسا على ما سلف حاولنا في هذا البحث و الموسوم بالوطنية في شعر أبو القاسم الشابي ، مقاربة تجليات الوطنية في شعره ، حيث حاولنا رصدها فنيا ونقديا ولمعالجة هذه الاشكالية انتهجت خطة تمثلت في مقدمة ، فصل تمهيدي وفصلين بين نظري وتطبيقي وملحق يضم قصيدتين لأبي القاسم الشابي التي تناولناهم في الفصل التطبيقي وفي الأخير خاتمة.

الفصل التمهيدي الذي كان عبارة عن دراسة نظرية تطرقنا فيها إلى الحديث عن الوطنية بصفة عامة، فهذا من خلال مفهومها وميزاتها و خصائصها، كما تحدثنا عن الشعر الوطني وظروف نشأته ومظاهره، وأهم الشعراء اللذين برزوا في هذا النوع من الكتابة.

أما الفصل الأول بعنوان أبو القاسم حياته وشعره، في هذا الفصل كانت الدراسة حول حياة الشابي ونشأته وتعليمه، كما تناولنا فيه أسباب الوفاة وأهم الآثار التي تركها خلفه، وبعض الآراء النقدية التي قيلت في شعره.

الفصل الثاني الذي جاء بعنوان تجليات البعد الوطني في شعر الشابي، فتطرقنا فيه إلى الوطنية وخصائصها في شعر الشابي من خلال تأثره بشعراء المهجر، إضافة إلى كيفية رؤية الشابي للوطنية في شعره عن طريق موقفه من الحرية والاستعمار وسخطه على شعبه وكانت الدراسة فيه جمالية فنية ، أي دراسة للبنية المعجمية والصور الشعرية و الموسيقى، وهذا من خلال النموذجين المختارين.

ثم أنهينا دراستنا هذه بخاتمة بمثابة إستنتاج توصلنا إليه، عرضنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها ، والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي الوصفي لأنه الأنسب لهذه الدراسة .

أما الدوافع الموضوعية التي دفعتنا لإختيار هذا الموضوع هي محاولة إثراء الموضوع وتزويد الجامعة بالأبحاث الجادة و المفيدة.

وقد إعتمدنا أهم مصدر لدراستنا هذه ديوان أبي القاسم الشابي، بينما إستسقاء المعلومات فقد كان من أهم مرجعين هما كتاب الشابي وجبران لخليفة التليسي، وأبو القاسم الشابي لإيليا الحاوي .

ولأن بحثنا لا يختلف عن أي بحث علمي تعترضه الصعاب ،فإنه قد واجهتنا جملة من الصعوبات العلمية أولها عدم توفر الكتب القديمة حول الشاعر نظرا لأنها مفقودة، كما تكمن في كيفية جمع المادة العلمية والمراجع التي تعيننا، كذلك صعوبة التحكم في المادة المعرفية.

ونأمل أن نكون قد وفقنا ولو إلى اليسير في دراستنا البسيطة، وأوفينا الموضوع حقه، ولا يسعنا إلى أن نتقدم بجزيل الشكر لمن ساهم من قريب أو بعيد في إثراء بحثنا، وإن كانت هناك كلمات شكر فهي خاصة للأستاذ الكريم "بحوص زكرياء" لفتحه لنا مجال البحـــــث ومساعدته لنا في إنجاز مذكرة التخرج والذي لم يبخل علينا بنصائحه وملاحظاته القيمة.

ونسأل الله أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والسداد إنه السميع العليم.

مدخل تمهيدي

1- الوطن.

2- الوطنية.

3- الشعر الوطني العربي.

لعل الشعر هو أشد الفنون الأدبية تقيدا بالمأثورات والمساطر وأكثرها خضوعا للتجديد والتطور، وذلك من أجل أنه كلما ثقلت شروط العمل، أي عمل كان كلما حاول العاملون التخفيف منها، ويصدق ذلك في الأعمال الأدبية كما يصدق في الأعمال المادية، وفي الشعر بالذات كان هناك تحول طرأ على المادة الشعرية أي الأفكار والموضوعات.

فكان اختراع الموشحات في الأندلس مظهرا من مظاهر التجديد والتطور للشعر استهدف تصويره من ناحية الشكل والبناء، ثم قامت النهضة الحديثة، فهزت الشعر هزا عنيفا تناول بنياته من القاعدة، فكان الشعر الحر والمنشور، فضلا عن اندفاع الشعراء في العمل بمنتهى الحرية، طبق المخطط الذي وضعه الاندلسيون من نظم قصائدهم على أكثر من بحث وبمختلف القوافي، وظهور فنون من القول وصور من البيان لم يكن للشعر العربي بها عهد كالشعر القصصي والتمثيلي، وامتد النفس إلى وصف الطبيعة وتنوعت الموضوعات وصار الشعر وسيلة لبث الافكار الاصلاحية والروح الوطنية.

ومن ثم وجد هذا الباب الجديد من الشعر القومي أو الوطني الذي خلف باب الحماسة في الشعر العربي القديم. فهذا النوع من الشعر أحرى أن يكون اليوم ديوان الحركات التحريرية التي نشأت في العالم العربي منذ النهضة الحديثة، فهو يمثل تطورها من شعور بالغضاضة لسيطرة الأجنبي وتحكمه في البلاد والعباد، إلى دعوته للمقاومة والتسلح المادي والمعنوي لإحياء المجد الداثر.. وإلى الثورة الدامية التي تحقق للشعب مطامحه العليا في الحرية والاستقلال[1].

1 عبد الله كنون : أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، دط، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، المغرب،1984 ص 149.

1/ الوطن :

أ- لغة :

جاء في العرب لابن منظور (وطن) الوطن : المنزل نقيم به، وهو موطن الانسان ومحله، وقد خففه رؤية في قوله:

أوطنت وطنا لم يكن من وطنـــي لو لم تكن عاملها لم اسكـــن

وقال طرفة : على موطن يخشى الفتى عنده الردى متى تعترك فيه الفرائض ترعدِ

وأوطنت الأرض ووطنتها توطينا، واستوطنتها أي اتخذتها وطنا[1].

ومن المجاز : مواطن مكة : مواقعها، والوطن المشهد من مشاهد الحرب، وواطنه على الأمر: فعله معه ووافقه... أما في اللغة الحديثة فإن المعنى الأساسي للفظة الوطن إنما يدل على المفهوم العصري الحديث الشامل[2].

ب- اصطلاحا :

هو تلك البقعة من العالم التي ترتبط بها معنويات الشخص ويتعلق بحبها أو تلك الأرض التي نشأ عليها واختلط بأهلها، وتعلم منهم طريقة الحياة فأصبح يشعر بأنه جزء منه[3]. والإقليم أو الوطن يعتبر عاملا هاما من عوامل استكمال الشخصية القومية للجماعة، لأن اشتراك جماعة ما في وطن واحد هو الذي يوحد بين عواطفهم وطرق حياتهم، أفكارهم ومصالحهم وأهدافهم ، ولذلك من الصعوبة بما كان تصور شخصية قومية للجماعة بدون إقليم أو وطن تعيش في كنفه. وله حدود جغرافية معلومة ثم هناك

1 ابن منظور : لسان العرب، تحقيق عبد الله الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دط، ج55، دار المعارف، القاهرة، دت، ص 4868.

2 وهيب طنوس : الوطن في الشعر العربي – من الجاهلية إلى نهاية قرن ثاني عشر ميلادي- ط1، 1975-1976، ص 283.

3 تركي رابح : التعليم القومي والشخصية الوطنية – دراسة تربوية للشخصية الجزائرية- ط2، الشركة الوطنية للطبـــع والتوزيع، 1981، ص ص 41-42.

تأثير البيئة الطبيعة في تكوين الشعب الذي يعيش عليها وهو أمر لاينكره أحد وقد أكد ذلك رينان "Renan" قائلا : أن الأمة تجد أساسها قبل كل شيء في وحدة الأرض[1].

فوحدة الإقليم أو الوطن تعتبر عاملا من عوامل تكوين الشخصية القومية للجماعة والتماسك الاجتماعي والقومي بين أفرادها فعاطفة حب الوطن عاطفة غريزية في الإنسان في كل زمان ومكان فكلنا نحب الوطن الذي نسكنه ونعيش تحت سمائه، نأكل من خيراته، ونتغذى بحبه منذ الصغر، فأصبحا نحبه حبا فائقا ونحن إليه من أجل خدمته، ونموت في سبيل الدفاع عنه وحمايته ضد كل عدوان من أي مصدر كان.

2/ الوطنية :

أ- مفهومها :

- لغة :

وطن ، الوطني: المنسوب إلى "النشيد الوطني" وإلى الوطنية "رجل وطني" المعبر عن حب الوطن أو المستمد منه : "حماس وطني" الذي يهم البلد بأسره لامنطقة معينة "التربية الوطنية"، "ما تم وطني" المنبثق من الوطن الذي يمثله أو يعبر عنه : "الإرادة الوطنية"، الجمعية الوطنية"[2].

الوطنية : حب الوطن والبذل في سبيله المواطنية : صفة المواطن.

-اصطلاحـــــا :

الوطنية هي حب الوطن وولائه والشعور نحوه بارتباط روحي وهي نزعة اجتماعية تربط الفرد بالجماعة وتجعله يحبها ويفتخر بها، ويعمل من أجلها ويضحي في سبيلها[3].

فهي شعور وممارسة ،انفعال وجداني ،حب ووفاء، وهي ارتباط عاطفي بالأرض والمجتمع.

---

1 أنور رفاعة وآخرون : دراسات في المجتمع العربي، دط، مطبعة جامعة دمشق، 1967، ص ص 54-55.

2 المنجد في اللغة والإعلام : ط21، دار المشرق، بيروت، 1973م، ص 965.

3 محمد الصادق عفيفي : الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث، ط1، دار الكشاف للنشر والتوزيع، بيروت، 1969م، ص 09.

ب- خصائصـــها :

- الوطنية هي الرغبة في الاستقلال وهي حصول الوطن على تقرير مصيره بنفسه وتحريره من الحكم الأجنبي.

- هي حب يكون دولة واحدة وتكون رابطة قوية بين أفراد الجماعة فيها.

- ترمي أيضا إلى تشكيل دولة مستقلة لخدمة أفرادها والسير بهم نحو الازدهار في الميادين الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وبالتالي تحديد مكانة مرموقة للفرد.

- الوطنية هي ايقاظ الموروثات القديمة أي النظر في مجد الماضي وهي توحيد الشعور بين أبناء الوطن الواحد لمحاربة المستعمر، وهي التوجيه إلى أهداف بعيدة الأثر في حياتنا المستقبلية فهي بذلك امل المستقبل، فالوطنية إذن هي الطاقة الدافعة التي تجمع بين مجد الماضي وجهاد الحاضر وأمل المستقبل[1].

جـ- مميزاتـــها :

- إن الوطنية لاتنشأ بمعزل عن البنية والوطن الواحد، لأنها تعبر عن هذا الوطن وعن أحواله وتناقشقضية من قضاياه، فهي جزء منه وهو جزء منها.

- إن الوطنية لاتنشأ بمعزل عن الحركة الفكرية والاجتماعية لأنها تعبر عن هذا المجتمع وبفكر هذا المجتمع.

- إن الوطنية مرتبطة بالتغيرات والتطورات الناشئة في هذا الوطن من ثورات وغير ذلك[2].

3- الشعر الوطني العربـــي :

أ- تعريفـــه :

هو الشعر الذي يدور حول قضايا الوطن ومشكلاته السياسية والاجتماعية ويصور حب الانسان لوطنه ولأبنائه، فهو تعبير عن مواقف وآراء قامت في ضمير أبناء الوطن فوعاها الشعراء وأدركوا أبعادها، وتأثروا بها فغدت لديهم تجربة شعورية جادة، فعبروا عنها

1 إميل ناصيف : أروع ماقيل في الوطنيات، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص 07.

2 المرجع نفسه، ص 07.

تعبيرا صادقا وأصبغوا عليها من عواطفهم ما جعلها قادرة على التأثير في نفوس مواطنيهم...

والشعر الوطني يتضمن أبوابا عديدة وألوانا متنوعة[1] ، ففيه الحنين إلى الوطن يكون الشاعر بعيدا عنه ويتجسد هذا المعنى في ابيات بعثها "أحمد شوقي" وهو في منفاه في إسبانيا إلى صديقه الشاعر حافظ ابراهيم :

يا ساكني مصر إنا لانزال على عهد الوفاء، وإن غبنا مقيمنا

هلا بعثتم لنا من ماء نهركـم شيئا نبل به أحشاء صادينا

كل المناهل بعد النيل آنســة ما أبعد النيل إلا عن أنانينا[2]

كما فيه الفخر والانتماء إلى الوطن وبتاريخ أبنائه وفيه الدفاع عن كرامته حين يدعوا داعي الجهاد وتجسده لنا أبيات خليل مطران :

داع إلى العهد الجديد دعاك فأستأنفي في الخافقين علاك

يا أمة العرب التي أمنـــا أي الفخار نميته ونمـــاك[3]

ب- مظاهـــره :

إن للشعر الوطني عدة مظاهر وأسباب تحدث عنها الكثيرون من بينهم "إميل ناصيف" الذي حدد المظاهر فيما يلي :

- النزعة العربية :

لقد تجسدت الرغبات التحريرية من هيمنة الغرب في حركات عربية منظمة فبسبب سياسة التحدي التي انتهجها الغرب وسياسة الاحتقار التي مارسها الأتراك ضد العرب، نجد ظهور مأيدين للشعور القومي، كما كان لإعدام الشهداء في الحرب العالمية الأولى فعلا كبيرا في تحريك النفوس، فانصرف الشعراء في الوطن العربي الى تقديس الشهداء وكانت ثورة 1916م في الحجاز دافعا كبيرا لتفجير روح الوطنية للمطالبة بإعادة مجد

1 إميل ناصيف : أروع ماقيل في الوطنيات، ص 09.

2 المرجع نفسه : ص 106.

3 خليل مطران : الديوان ،دط، ج2، دار الجيل، بيروت، دت، ص 395.

العرب ومن بين الشعراء الذين صوروا بطولات الشهداء "أحمد شوقي" في أبيات نظمها في عمر المختار :

ركزوا رفاتك في الرمال لواء يستنهض الوادي صباح مساء

ياويحهم نصبوا منازا من دم توحي إلي جيل الغد البغضاء

كما صور "إلماس فرحات" بطولات يوسف العظمة وجنوده في ميسلون بقوله :

كأنهم رأو في الفرعـــــارا فكروا بالمنية يحتموها

رأو في ميسلون الموت مجدا فماتوا دونها مستبسلينا[1]

ويجب للمتذوق للأدب في مرحلة الانتقال بسبب الأحداث العالمية الكبرى، التي عجلت بتحطيم العزلة والوصل بين الشرق والغرب ونبض الوجدان المغربي، بالتعاطف مع حركات التحرر في الوطن العربي، أن الشعر الوطني فيه دعوة إلى التحرير وتأصيل المثل القومية وتسجيل الاجتماعية جنبا إلى جنب مع تجارب انصبت على التعبير عن مشاعر الفرد ووجدانه الذاتي[2].

- النزعة الاقليمية :

إلى جانب نشوء النزعة العربية، نشأت في الأقطار العربية وبخاصة في مصر ولبنان نزعة إقليمية مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

أ- في مصر :

شهدت مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أحداث سياسة وعسكرية ألهبت مشاعر الناس، فقامت الدولة الخذيوية ضمن العثمانية تحكم مصر فعليا، في حين بقيت السلطة الأممية للسلطان التركي، ووافقت ذلك كله نهضة اجتماعية وثقافية واقتصادية في عهد الخذيوي اسماعيل، جاءت تتمة للنهضة الكبرى التي أحدثها "محمد علي" فإطمئنت الناس، وصفق الأدباء لتلك النهضة.

---

1 خليل مطران : الديوان، ص 113.

2 عبد الحميد يونس وفتحي حسن المصري : في الأدب المغربي المعاصر، ط1، دار المعارف، القاهرة، ص 43، (بتصرف).

لكن الأحداث الداخلية مالبث أن عصفت بالبلاد من جديد، على إثر ثورة "أحمد عرابي" التي كان من نتائجها أن احتلت بريطانيا مصر عام 1882، فدخلت البلاد مرحلة جديدة من الكبت، بالرغم من مظاهر الحرية التي سمح بها الانجليز وقد توالت الأحداث والصدمات بين المصريين والسلطات الحاكمة من ذلك حادثة "نشواي" التي فجرت الأوضاع، فردد تفاصيلها الشعراء مستنكرين ومهددين ومعاتبين، ثم كانت الحركات الوطنية التي علا فيها صوت الأحرار، ولمع نجم الزعيم مصطفى كامل ثم الانتفاضة الوطنية الكبرى سنة 1919، وكان الشعر مرآة لتلك الحقبة، يصور مواقف الفئات المختلفة معبرا في جميع الأحوال عن أماني الشعب ومؤرخا لكل الحداث في تلك الأيام[1].

ب- في لبنان :

لقد سار اللبنانيون في ركاب النزعة العربية كغيرهم من الأقطار العربية، حتى قامت الحرب العالمية الأولى، وكان الانتداب الذي تلاه إعلان دولة لبنان الكبرى في ظل الإحتلال الفرنسي عام 1920م، فشعر اللبنانيون بأن لهم وطن ولو صغير رددت أصداء مدينته العصور وتراثا هو مزيج من تراث الإقليمية وتراث العرب.

ولإن لم يدرك بعض الأدباء معنى الإستقلال الصحيح كغيرهم من الشعوب التي لم تتضح تجاربها السياسية، فخلطوا بين مفهومي الاستقلال والاحتلال، وقبلوا بفكرة الاستقلال بظل الاحتلال، فإنهم مالبثوا أن أدركوا أن استقلالهم كان وهما، وأن الإستقلال الحقيقي لايمكن أن يأتي من الخارج، بل هو تجسيد لمشيئة تنبعث من الداخل، وقد كان لفكرة إنشاء كيان لبناني مستقل، مؤيدون في أوساط الشعب اللبناني بكل فئاته منهم عمر الفاخوري[2].

1 إميل ناصيف : أروع ماقيل في الوطنيات، ص ص 11-12.

2 المرجع نفسه، ص ص 11-12.

جـ- أنواعه :

1- شعر الحنين إلى الوطن :

هاجر فريق من الشعراء إلى أنحاء مختلفة من المعمورة وبخاصة إلى أمريكا وفي قلوبهم الأسى والحسرة بدافع الحاجة والعوز، وقد يكون بدافع النفي ويحفزهم إلى ذلك طموح لاحدود له وقد قال حافظ :

رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا إلى الهجرة ركبا صاعدا كبرا

ماعابهم أنهم في الأرض قد نشروا فالشهب منشورة مذ كانت الشهب

وقد تركوا أوطانهم والدموع في أعينهم والحرقة في اقلوبهم كما وصفهم "فوزي معلوف" :

ودعوها والماء ملئ الماقي لنداها والنار ملئ الكبود

ولو أن الأصم يسمع صوتا صرخوا بالبواخر الصم:عودي

وبعد أن تصل البواخر بالمهاجرين إلى مهاجريهم كان هؤلاء يعودون إلى ذواتهم فيجدون أنفسهم أسرى الذكريات، وإذا بالحنين إلى الوطن يعطل عليهم كل تفكير، وطبيعي أن يعصف الحنين إلى الوطن بقلوب هؤلاء المهاجرين فيبنون في الأحلام ماحرموا منه في اليقظة في غربتهم بعيدا عن أرض الوطن[1].

وإذا إنقضى الزمن ولم يتيسر لهؤلاء أن يعودوا إلى أوطانهم وكتب عليهم أن يضلوا في غربتهم كانت وصيتهم إلى أبناء وطنهم أن يواروا عظامهم في تراب الوطن كما أوصى "رشيد أيوب" أحد شعراء الرابطة القلمية[2]، قائلا :

فاحفروا قبري بجانب خيمتي عند الكروم

حيثما كنت أراقب في دجي الليل النجوم

لا أنام !![3]

1 إميل ناصيف : أروع ماقيل في الوطنيات، ص ص 13-14.

2 الرابطة القلمية جمعية أدبية أسسها في نيويورك 1920 عدد من الأدباء على رأسهم جبران وميخائيل نعيمة ورشيد أيوب ونسيب عريضة وغيرهم.

3 إميل ناصف : المرجع السابق، ص 15.

2- شعر المقاومة :

نجد أن المسألة الفلسطينية قد أدمت قلوب الشعراء وفجرت قرائهم فنظمت فيها القصائد الباكية وقصائد المقاومة وشعر العودة، وقد تجندت لها معظم الأقلام العربية في المرحلة الأخيرة في كل أنحاء العالم العربي، وقد استطاع شعراء المقاومة أن يوطدوا أقدامهم في الأرض الابية، ويحتلوا مكانة جديدة في الشعر العربي الحديث وينبهوا الضمائر إلى ضرورة الدفاع عن الحق العربي المسلوب، واسترجاع الجزء المنهوب من بلاد العرب.

وقد بات شعر المقاومة بشكل من الأشكال ركنا ضخما من أركان الأدب العربي الحديث وبابا من أوسع الأبواب الشعرية التي يدور الشعراء في رحابها[1].

ومن الشعراء الذين نظموا في هذا اللون "سليمان طاهر" حيث يقول :

أبناء صهيون كفواعن فلسطين ولاتهيجوا المطاعيم المطاعينا

أرض البنين تأبى أن تعود إلى من استحلوا بها قتل النبيينا

أتبتغون بها ملكا وسلطنه وقد أسأتم إلى موسى وهارونا

ولم تراعوا وصاياه بمشهده ويوم غاب فلم ترعوا الوصيينا[2]

3- شعر مديح الأوطان والبلدان :

لم يخل الأدب العربي من الجاهلية إلى اليوم من آثار ظاهرة حب الوطن فالعربي الذي عاش متنقلا في بداوته من مكان إلى آخر طالبا للمرعى وأسباب العيش، فخلدها في أشعاره بعد ماذاب في ذكراها شوقا وحنينا ولم لا؟ فهي عنده مصدر الخير ونعيم اللقاء بالأهل والأحبة، ومسارح المغامرات والمفاخرات قال بعضهم عنها :

وطن اللهو الذي جرى الصبى فيه أذيال الهوى مستوطن.

فقد عاش العربي القديم وفيا لداره، فإذا أنشد شعرا في غرامه، ذكر محبوبتا أحبها مربعا رتع فيها، وإذا قال في كفاحه ذكر عن الميدان الذي جال فيه وصال، وإذا وارى

1 إميل ناصيف : أروع ماقيل في الوطنيات، ص 16.

2 المرجع نفسه ، ص 108.

الثرى حبيبا أو عزيزا حدد المكان الذي دفن فيه واستمطر عليه الغيث، وإذا أجبرته الظروف والأقدار على تلك الديار، هاجه الحنين إليها وإلى أهله وجيرانه فامتدحها وامتدحهم.

ثم انتقل العرب من خشونة إلى رفاهية ومن بداوة إلى حضارة، واستقرت الأرض بهم واستقروا بها فتبدلت نظراتهم إلى تعريف الوطن، فصار أبعد من خيمة منصوبة أو واحة مطلوبة فأسمع أبا تمام كيف يحدد وطنه :

بالشام قومي وبغداد الهوى وأنا بالرقمتين بالفسطاط أخواني

وما أظن النوى ترضى بما صنعت حتى تبلغني أقصى خراسان[1].

لم يكتفي الشعراء القدامى بالوصف العام للمدن، بل وصفوها بصورة تفصيلية فرسموا أبنيتها وقصورها ومنتزهاتها وجبالها وأنهارها، وأشادوا بذكر طيب هوائها ومناخها ومائها، وعلى غرارها نسج الشعراء العرب المعاصرون لاسيما شعراء المهجر، فحنوا إلى أوطانهم ومدنهم ومراتع صباهم ومدحوها في قصائد رائعة، لاتزال تردد في البلاد العربية وعواصمها : القاهرة، بيروت، دمشق، حلب، القدس والعديد من المدن، ولم يقفوا عند هذا الحد إنما مدحوا أوطانا ومدنا أجنبية أخرى، نزلوا فيها وأقاموا.

بعد هذا كله يمكننا أن نستنتج أن هذا اللون من المديح تدرج عن العرب من مديح أماكن السكن (المنزل، الدار، البيت) إلى المعاني والربوع (في معناها الأوسع بمكان السكن) إلى المدينة فالوطن، وانحصرت المعاني في حب الوطن والوفاء له و التثبت به والحنين إليه، ووصف عمرانه وجماله الطبيعي وأخلاق بنيه، وقد إزداد مديح الأوطان والبلدان ازدهارا وانتشارا، بعدما دخلت قصائده حيز الأغنية العربية، خاصة بعد محنة فلسطين والانتفاضات التحريرية في العالم العربي فغنى فيها كبار المطربين امثال محمد عبد الوهاب، السيدة أم كلثوم، فيروز، وصارت أغانيهم في مصر ولبنان ودمشق وفلسطين أناشيدا وترانيم تدور على كل شفة ولسان ويختلج بها كل قلب.[2]

1 إميل ناصيف : أروع ماقيل في الوطنيات، ص 19-21.

2 المرجع نفسه، ص 19-21.

د- رواده :

للوطن في نفوس أبنائه من الوشائج مايجعله متوهجا أبدا في القلوب، وقد انبرى الشعراء الوطنيون منهم لترجمة ذلك التوهج شعرا ومشاعر، ومن أبرزهم أبو القاسم الشابي بتونس وأحمد شوقي بمصر، ومحمود درويش بفلسطين وعبد الكريم بن ثابت بالمغرب وغيرهم.

1- أحمد شوقي (1868م-1932م) :

ولد أحمد شوقي في كنف الخذيوي اسماعيل سنة 1868 وإلى هذا يسير في إحدى قصائده :

أأخوان اسماعيل في أبنائه ولقد ولدت بباب اسماعيلا

وكان من أصول مختلفة وأعراق متعددة، اجتمع فيها واختلط الدم الشركسي بالتركي والعربي وبدأ تعلمه في الكتاب على عادة أبناء المصريين في ذلك الوقت[1]، ثم واصل دراسته إلى الجامعة فدرس الحقوق والأدب، وفي عام 1891 عاد إلى مصر مسلحا بثقافة واسعة متقنا للغة الفرنسية[2].

كان بروز أحمد شوقي في الساحة الادبية أعظم حدث شعري في أواخر القرن 19 وأوائل القرن 20، فهو المحلي في حلية الشعر العصري والشعراء بعده متلاحقون. وبشهرة شوقي الدائمة تقوم على القصائد التي كتبها في آخر طورين من مسيرته الشعرية، كان الطور الأول هو طور منفاه إلى اسبانيا، حيث كتب أحسن قصائده إلى الحنين إلى الوطن، أما الطور الثاني فقد بدأ بعد عودته إلى مصر حتى وفاته، وفيه تحرر نهائيا من علاقته بالبلاط وأصبح شعره صدى الأحداث الكبيرة التي كانت تجري في الوطن العربي، فنجده يقول في منفاه في اسبانيا حين يحن إلى وطنه :

يانائح الطلح أشباه عوادينا تشجي لواديك أم نأسى لوادينا؟

ماذا تقص علينا غير أن يدّا قصت جناحك جالت في حواشيها !

1 ابراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ط1، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2003، ص 64.

2 عباس صادق : موسوعة أمراء الشعر العربي، ط1، دار اسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2002، ص 15.

دما بنا البين أيكا غير سامرنا أخا الغريب : وظلاّ غير نادينا

كل رمته النوى إريش الفراق لنا سهما، وسل عليك البين سكينا

إذا دعا الشوق لم نبرح بمنصدع من الجناحين عي لايلبّينا[1]

ومن شعره أيضا :

من الوطنية استبقوا رحيقا فضفنا عن معتيقها الختاما

غرسنا كرمها، فزكا أصولا بكل قرارة، وزكا مداما

جمعتهم على نبرات صوت كنفخ الصور حرّكت الرجاما

لك الخطب التي غصّ الأعادي بسورتها وساغت للندامى[2]

2- حافظ ابراهيم (1871م – 1932م) :

ولد في جنوب مصر من أب مهندس وأم تركية، تعلم بالقاهرة ونشأ وتوفي فيها، توفي والده وهو في الرابعة من عمره، دخل الابتدائي والثانوية تحت كفالة خاله اشتغل المحاماة ثم تركها وولج المدرسة الحربية... بدأ في كتابة الشعر ومعالجته ومخالطته الشعراء[3].

كان معاصر شوقي الشهير يشاركه شهرته في الوطن العربي، هذا الشاعر الذي كانت أغلب مواضيع شعره ترتبط بالأحداث والمناسبات العامة، وتكشف عن اهتمام عميق بمشكلات الفقر في بلاده والواقع أن حافظ كان شديد الإيمان بوظيفة الشاعر الاجتماعية والوطنية، حيث يقول طه حسين أن شوقي لم يبلغ ما بلغه حافظ ابراهيم من الرثاء، ومن تصوير نفس الشعب وآلامه وآماله[4].

1 إيليا حاوي : أعلام شعر عربي الحديث، أحمد شوقي، أحمد زكي أبوشادي، بشاره الخوري، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1970، ص 83.

2 أحمد شوقي : الشوقيات،د ط ، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، ص 224.

3 ابن عباس ومصطفى رسام : تراجم الشعراء والأدباء، دط، مطبعة نجاح جديدة، الدار البيضاء، الجزائر، 2005، ص 110.

4 محمد عبد المنعم خفاجي : مدارس النقد الادبي الحديث، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1995، ص 238.

ومن شعره الوطني نجد :

عجب للنيل يدري ان بلبله صاد ويسقي ربا مصر ويسقينا

والله ما طاب الأصحاب مورده ولاارتضوا بعدكم من عيشهم لينا

لم تنأ عنه وإن فارقت شاطئه وقد نأينا وإن كنا مقيمينا[1]

3- خليل مطران (1871م-1949م) :

كان خليل مطران يقوم بدور مختلف، فقد كان سوريا متمصرا، فهو من بين الشعراء الذين قدموا من سوريا ولبنان، وفي نهاية القرن 19، وجعلوا من مصر موطنهم الجديد.

ولد مطران في بعلبك ودرس في زحلة ثم في الكلية البطريركية في بيروت، حيث أصاب حظ عظيما بدراسته على يد خليل اليازجي وابراهيم اليازجي معا[2]، ثم بدأ كتابة الشعر أول مرة متأثرا بالثقافة العربية الكلاسيكية والثقافة الغربية.

كان الشعراء السوريون اللبنانيون من أول من كتب قصائد الإحتجاج والتحريض على الثورة في الوطن العربي، مما عرضهم للإضطهاد العثماني وجعل حياتهم في خطر، وكان مطران قد اضطر للهرب من بلاده بسبب قصيدة قوية كتبها، وأمضى بقية حياته في مصر بالدرجة الاولى.

لقد ساهم الشعراء مثل شوقي وحافظ كل بحسب تكوينه النفسي، في أحداث العالم الكبرى والذي فعله مطران اختلف عنها في أنه تخطى حدود الواقع إلى مجالات الخيال الواسعة، فروى حكايات خيالية في شكل قصصي، وقد لجا إلى هذا الشكل ليعبر عن أفكاره الخاصة عن المجتمع والحرية والطغيان فقصائده مثل مقتل "بزرجمهر" و "نيرون" تمتلئ بالمعاني الاجتماعية والسياسية ذات الطبيعة الثورية البالغة.

1 حافظ ابراهيم : الديوان ، دط، ج2، دار العودة، بيروت، 1937، ص 187.

2 سلمى خضراء الجيوشي : الإتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ص 85.

ما كان كسرى إذا طعنى في قومه إلا لما خلقوا له فعالا

***

لكن خفض الأكثر جناحهم رفع الملوك وسود الأبطالا

وإذا رايت الموج يسفل بعضه ألفيت تاليه طغى وتعالى

وهذا البيت من قصيدة "تيرون" :

ماعلينا من غريم غارم إن أزرى الخلق شعب مات صبرا[1]

4- محمود درويش (1941م...) :

ولد محمود درويش في قرية البردة الجليلة، التي تقع شرق عكا (وهي من بين القرى الفلسطينية التي سواها الإسرائيليون بالأرض بعد حرب 1948، عاش محمود درويش لاجئا في وطنه، وشارك في الكفاح السياسي في مطلع شبابه وانضم إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي وبسبب معتقداته السياسية، تعرض للمضايقة والقمع المتواصل على أيدي السلطات الإسرائيلية وقد سجن وحكم عليه بالإقامة الجبرية في منزله خلال وجوده في فلسطين، عاش في منطقة الخليل، وعمل بعض الوقت في تحرير صحيفة "الإتحاد" اليومية التي يصدرها الحزب، عام 1981 غادر محمود درويش فلسطين وذهب للعيش في بيروت حيث نال شهرة واسعة بوصفه شاعر المقاومة الأول[2].

يعتبر أبرز من ساهم بتطوير الشعر العربي الحديث وإدخال الرمزية فيه، ففي شعره يمتزج الحب بالوطن بالحبيبة بالأهل والأصدقاء، فقد بدأ بكتابات أو تمارين شعرية وطنية، ثم واصل الكتابة إلى أن تمكن من دفع المسألة الوطنية إلى مصاف القضايا الإنسانية الكبرى، فهو شاعر القضية الفلسطينية وشاعر وطني بامتياز، ومن شعره الوطني:

علقوني على جدائل نخلة واشنقوني...

فلن أخون النخلة!

---

1 سلمى خضراء الجيوشي : الإتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ص 93.

2 عباس صادق : موسوعة أمراء الشعر العربي، ص 390.

هذه الأرض لي.. وكنت قديما

أحلب النوق راضيا وموله

وطني ليس حزمة من حكايا

ليس ذكرى، وليس حقل أهله

5- بشارة الخوري (1885م- 1968م) :

ولد بشارة الخوري في بيروت 1885م، وتلقى العلم في عدة مدارس منها مدرسة الحكمة، ولم يتجاوز في تحصيله الدراسي نطاق المعارف الثانوية، وانصرف منذ مطلع شبابه إلى الصحافة فأنشأ سنة 1908 جريدة جريدة "البرق" وجعلها منبرا للدفاع عن القضايا العربية ومهاجمة التجاوزات العثمانية، توفي سنة 1968م.[1]

استطاع من خلال شعره الخلود وذلك لمدى تعبيره عن حياة أمته بما فيها من أماني وطنية ومظاهر اجتماعية وغيرها فقد بدأ شعره في ظل الثورة العربية، ولان الحرب العالمية الاولى اصابت الجماهير العربية بالاختناق بدأ الشاعر يتغنى بالبطولات متخذا لنفسه لقب الأخطل الصغير خشية أن يكتشف المستعمرون هويته الحقيقية، ومعظم شعره الوطني يتضمن هذه الروح الثورية التي تنم عن شعور صادق وسخرية في الانتقاد واندفاع في الوطنية، وعروبة حقه لاتأخذه في الحق لومة لائم، وكان في شعره لايأبه للحدود التي أقامها المستعمرون بين البلدان العربية :

مشت الشام إلى لبنان شوقا والتياحا

فافرشي الطرق قلوبا وتغورا وصداحا

عرة من عبد شمس تملأ اليل صباحا

وحسام يغربي الحد ما مل الكفاحا

فتساوينا جهادا وتآخينا سلاحا[2]

1 عباس صادق : موسوعة أمراء الشعر العربي، ص 145.

2 ايليا الحاوي : أعلام شعر عربي الحديث، ص ص 270-271، (بتصرف).

ومن شعره القومي في ثورة مصر أيضا :

مرحبا مصريا شقيقتنا البكر ويحلو ترديد مصر ويغلو

نحن فرعان، ألف الشرق قلبيا على الحب والحضارة أصل

معجزات الزمان منكم ومنا زن جيد الوجود والدّهر طفل.[1]

6- أحمد محرم (20. 1. 1877م-1945م) :

هو أحد شعراء النهضة المصرية، ولد في "إبيا الحمرا" إحدى قرى مصر، في شهر محرم لذلك سمي أحمد محرم، سافر إلى القاهرة ودخل جامعة الأزهر وأخذ من علمائها الأبرار اللغة ومبادئ العلم، اشتغل في الصحافة، حفلت أيامه بالأحداث السياسية والأحزاب[2].

فمحرم شاعر اسلامي وطني من طراز فريد، فقد عاش عدوا للقصر وللحزبية السياسية وللمحتل وأذنابه والمرجعية والإقطاع، كما حارب كل هذه الأركان المتداعية، وحاربته هي حتى لفظ آخر أنفاسه ولاقى ربه، وكان يمثل روح الشاعر الثائر الوطني المخلص لدينه وأمته ولوطنه، وقد بلغ في شعره الإسلامي الوطني الذروة، فكانت الإلياذة الإسلامية التي نظمها عملا في شعرنا المعاصر.

ويقول فيه بدوى طبانة أنه كان في مقدمة شعراء الوطنية الاوفياء الذين تشبثوا على رأيهم في الإيمان بحق الوطن، ومن شعره الوطني ماوجهه إلى الانجليز في قصيدته عن مأساة نشواى :

بنى التامين كونوا كيف شئتم فلن تدع الكفاح ولن نلينا

خذوا أنصاركم إنا نراهم لنا ولقومنا الداء الدفينا

همو الأعداء لسنا من ذويهم وليسوا في الشدائد من ذوينا

ذعنا عهدهم فمتى نراكم تشدون الرحال مودعينا.[3]

---

1 ابراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ص 222.

2 إبن عباس ومصطفى رسام : تراجم الشعراء والأدباء، ص 67.

3 عبد المنعم خفاجي : دراسات في الادب العربي الحديث ومدارسه، ط1، ج1، دار الجيل، بيروت، 1992، ص ص 261-262، (بتصرف).

7- عبد الكريم بن ثابت (1915...) :

ولد عام 1915م بمدينة فاس، دخل إحدى المدارس الابتدائية عام 1928م، فحبب إليه معلموه الثقافة والأدب فتمرد على المنهج النظامي المحكم في المدرسة، فلم يواضب عليها ورحل إلى مصر شابا يحب الطبعة والجمال والحرية، وكان الشعر هوايته التي يصور بها مشاعره وتأملاته...[1].

وليس من الشك أن العاطفة التي إجتاحت العالم العربي بأسره في فترة الحرب العالمية الثانية وما بعدها، كانت تحرك وجدان كثير من الشعراء من بينهم هذا الشاعر المغربي الذي أشتهر بنظم الشعر وسرعان ما إجتذبت قصائده الوطنية الرأي العام الأدبي ونجد له هذا النص الشعري الذي يدخل في باب الشعر الوطني وتظهر فيه ملامحه ومقوماته، ويبدوا فيه التقابل بين الظلم والعدل :

الشعب كالصب مولع هيمان

يبكي من الحب وبالهوى حيران

يشكو إلى الرب من سطوة السجان

ولسعة الحرمان وقسوة الحرب

وذلة الحرمان وقسوة الحرب[2]

وهكذا نجد أن شعرنا العربي الحديث حافل بموسيقى حب الوطن بكل أصولها وأوضاعها، فقد نظم أبناء الوطن العربي أشعارهم من وهج ولائهم وإخلاصهم لهذا الوطن المتأجج في صدورهم فأمتعوا العقول والنفوس والأفئدة، وخلفوا للمعاصرين والأجيال التالية تراثا خالدا.

1 عبد الحميد يونس وفتحي حسن المصري : في الأدب المغربي المعاصر، ص ص 69-70، (بتصرف).

2 المرجع نفسه، ص ص 70-71.

8- مفدي زكريا (1908م-1977م) :

هو الشيخ زكرياء بن سليمان بن يحي بن الشيخ سليمان بن الحاج عيسى ، ولد يوم الجمعة في 12 يونيو 1908م ببن يزقن ، أحد القصورالسبع لوادي ميزاب بغرداية في جنوب الجزائر، لقبه زميل البعثة الميزابية و الدراسة الفرقد سليمان بوجناح ب" مفدي " فأصبح لقبه الأدبي مفدي زكريا الذي أشتهر به حيث بدأ دروسه الأولى في القرءان ومبادئ اللغة العربية في مسقط رأسه ، ثم في مدارس تونس وأكمل دراسته بالمدرسة الخلدونية ثم الزيتونية وعاد بعد ذلك إلى الوطن ، وكانت له مشاركة فعالة في الحركة الأدبية والسياسية ولما قامت الثورة إنظم اليها بفكره وقلمه ، فكان شاعر الثورة الذي يردد أناشيدها وعضوا في جبهة التحرير مما جعل فرنسا تزج به في السجن مرات متوالية ثم فر منه سنة 1959م ، فأرسلته الجبهة خارج الحدود فجال في العالم العربي وعرف بالثورة ، وافته المنية بتونس سنة 1977م ونقل جثمانه الى مسقط رأسه فكان هو شاعر الثورة .

من إنتاجه الادبي بعض الدواوين مثل ظلال الزيتون واللهب المقدس وإلياذة الجزائر ، ومن شعره النشيد الوطني الجزائري الذي نظمه بسجن بربروس في الزنزالة 69، بتاريخ 25 أفريل 1955م ولحنه الملحن المصري محمد فوزي وهذا مطلع من إلياذة الجزائر :

جزائر يا مطلع المعجـزات ويا حجة الله في الكائنـــت

ويا بسمة الرب في أرضـه ويا وجهه الضاحك القسمات

ويا وجهه في سجل الخلود بتموج بها الصور الحالـات

ويا قصة بث فيها الوجـود معاني السمو بروع الحيـــاة

ويا صفحة خط فيها البقاء بنار ونور جهاد الأبـــــاة

الفصل الأول

أبو القاسم الشابي حياته وشعره

1- حياته .

2- ثقافته .

3- شعر الشابي وخصائصه.

4- مواضيع ومراحل شعره .

5- آراء نقدية حول الشابي .

تسقط بلاد المغرب الكبير الواحدة تلو الأخري في قبضة الإستعمار الغربي الأوربي، فتحتل فرنسا الجزائر وتونس ومراكش ... وتستعمر إيطاليا ليبيا، وتعاني بلاد الشام من الغزو الغربي بعد زوال الاحتلال التركي العثماني، ويشمل هذا الغزو بلاد الرافدين وأجزاء من شبه الجزيرة العربية ، وتستمر حركات الإنبعاث في البلاد العربية متمثلة حينا بإتجاه ديني، وحينا أخر بإتجاه وطني أو قومي وعصري ، وتقوم المساجد في بلاد المغرب برسالتها التعلمية الهادفة فتصل الحاضر بالماضي، وتوجه نحو المستقبل متلاقية في ذلك مع مؤسسات دينية علمية متنامية في المشرق العربي، ويقوى الصراع في تونس كما في أكثر من بلد عربي بين أنصار القديم والجديد، كما يقوى الوطنيين والغزاة المحتلين وذلك كجزء لا يتجزأ من مسيرة النهضة العربية الحديثة والمجتمع العربي المعاصر.[1]

هكذا كانت البلاد التونسية في مطلع القرن العشرين للميلاد ميدانا واسعا للصراع السياسي والإجتماعي ونظرا لإنتشار العلم وازدياد الاقبال عليه، إشتدت حركة الشباب في المجتمع وشعر الشباب ولاسيما المثقف منه بمسؤولية مستقبل الوطن نظاما وحكما، وساعد علي ذلك إختلاط التونسيين بإخوانهم العرب في الجامعات وإنتشار الصحافة في جميع أنحاء المغرب .

وفي هذا الجو المحموم وفي هذه الظروف القاسية المليئة بشتى أنواع الظلم والحرمان والتعسف، وفي هذه الصراعات كلها ظهر إلى الوجود شاعر الشباب والتجديد أبو القاسم الشابي، الذي وقف إزاء ذلك كله، موقف الرافض بلاحتلال، المتمرد على رموزه وأدواته، داعيا إلى مقاومته[2].

1 كاظم حطيط: أعلام ورواد الأدب العربي، ط1 ، ج2، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2003، ص232.

2 أبو القاسم الشابي: الديوان ،تحقيق أحمد حسن بسج ، ط4،دار الكتب العلمية، بيروت،2005، ص3 .

فبقدر ما كان لتونس من صلات ببلدان الشرق فإنها لم تبرز كبلد مفعم بالجمال والنظال في سبيل الحرية بقدر ما برزت في شعر الشابي[1].

1- حياته:

أ- مولده وأسرته:

في إحدى ضواحي توزو على مرأى من شط الجريد الهادئ الحافل بالأسرار، ولد الشاعر وأهَل الدنيا فنان عرفه أهلها ثم تاريخها بإسم أبو القاسم الشابي.[2]

فلا يغفل مؤرخ الأدب المعاصر عن سجل الشعراء الخالدين شخصية أبي القاسم الشابي وتراثه[3] ،فإختلف المؤرخون لحياته حول تحديد مولده والشهر فهناك من قال عام 1906م.[4] ولكنهم إتفقوا على مولده سنة 1909، في شهر(أدار) مارس [5] وهناك من قال أنه ولد في 24 فيفري في الشابية بمدينة توزو.[6] هي كبرى مدن منطقة الجريد بالجنوب الغربي التونسي وتمتاز بواحات النخيل المترامية وينابيع المياه الجارية، وبساتين الأشجار ويتميز أهل هذه المنطقة بالذكاء والشغف بالعلم، ووالده كان أحد النوابغ ممن درسو العلوم الدينية. [7]

نشأ أبو القاسم في كنف والده الشيخ محمد بن بلقاسم بن إبراهيم الشابي، الذي ذهب إلى مصروهو في 22 من عمره، ليتلقى العلم في الجامع الأزهر في القاهرة، ومكث

---

1 إبراهيم رضوان: التعريف بالأدب التونسي،دط، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1977م ، ص101.

2 نعمات أحمد فؤاد: شعب وشاعر أبو القاسم الشابي، د ط، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة، 1985، ص15.

3 إبراهيم رضوان: التعريف بالأدب تونسي، ص103.

4 عبد عون الرضوان: الشعراء العرب في القرن العشرين- حياتهم، شعرهم، أثارهم-، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، أردن، 2005، ص44.

5 أبو القاسم محمد كرو : الشابي، حياته- شعره، ط1، المكتبة العلمية ومطبعتها، 1952، ص24.

6 نجيب البعيني: موسوعة شعراء العرب المعاصرين - دراسات ومختارات - ط1، دار المناهل، بيروت، لبنان 2003م،ص94.

7عبد العزيز النعماني: أبو القاسم الشابي رحلة طائر في دنيا شعر، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1997، ص21.

في مصر 7 سنوات، عاد إثرها إلى تونس ودرس في جامع الزيتونة سنتين، حصل بعدها على شهادة تطويع، وعين قاضيا شرعيا بسنة بعد ولادة ابنه أبا القاسم.

عمل الشيخ محمد قاضيا شرعيا في أكثر من تونس، ومنه إقتبس العلوم والأدب فقد كان يقضي يومه بين المسجد والمحكمة والمنزل، وعلى يديه تلقى علومه ومعارفه التي كونت لديه مادة غنية أثرت في ثقافته الأدبية وفجرت في نفسه ملكات الإبداع ومكامن العبقرية[1] ومنه حصل على العالمية.[2]

ومما قاله أبو القاسم عن أبيه: "إنه أفهمني معاني الرحمة والضمان، وعلمني أن الحق خير ما في هذا العالم، وأقدس ما في هذا الوجود".[3]

كان والده بحكم عمله قاضيا ينتقل من منطقة لأخرى في البلاد التونسية أكثر من عشرين عاما، وكان لهذا الطواف أثره البعيد في حياة الشابي، الذي حرم من الاستقرار في مدرسة واحدة [4].وتعرض هذا الناشئ النحيف، مديد القامة ،قوي البديهة[5]، إلى شعوره بعدم الإستقرار والثبات.

لم يكن بعيدا عن جو الأحداث الوطنية الداخلية للبلاد، فقد بادر برأيه في الإصلاح الذي كان طلبة الزيتونة يطالبون به عام1928م، حيث أشرف على وضع برنامج عمل للمطالبة بالاصلاح في الوقت الذي كان ابنه أبو القاسم رئيسا للجنة الطلبة[6].

---

1 سحر عبد الله عمران: أبو القاسم الشابي عبقرية فريدة وشاعرية متجددة (بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده) دراسة ومختارات،د ط، دار البعث، دمشق، 2009، ص7.

2 محمد عبد المنعم خفاجي: حركات التجديد في الشعر الحديث، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية ،2002، ص170 .

3 سحر عبد الله عمران : أبو القاسم عبقرية وشاعرية متجددة، ص07.

4 نجيب البعيني: موسوعة الشعراء العرب المعاصرين – دراسات ومختارات – ص94.

5 عبد المجيد الحر: أبو القاسم الشابي كوكب السحر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995،ص64.

6 عزيز لعكايشي: مظاهر الابداع الفني في شعر أبي القاسم الشابي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير،اشراف سعد الدين الجيزاوي، معهد الأداب والثقافة العربية، جامعة قسنطينة، 1980،ص ص 11– 12.

لم يكن الشابي وحيدا في منزل والده بل كان الى جانبه أخواه محمد الأمين وعبد الحميد حيث كان أخوه محمد الأمين واسع الأفق سريع البديهة متفاءل في طروحاته واراءه مختلفا عن أخيه أبي القاسم في نظرته للحياة.

يقول تعالى"ومن ايته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنو اليها"[1] ،يرجع كتاب سيرته الذاتية أنه لم يكن موفقا في حياته الزوجية لأن زواجه كان إرضاءًا لوالده من جهة، ومن جهة أخرى لأنه لم يجد في زوجته الصورة الشاعرية التي رسمها في شعره، ولذلك إتجه حبه إلى إمرأة خيالية.[2]

فقد تم عقد قرانه الشرعي في 1928م والدخول سنة 1930م من إبنة عمه التي كان مرتبطا بها في حياته أبيه، وأنجبت له ولدين هما "محمد" و"جلال".

ب-مرضه ووفاته:

لقد وقع الشابي في المدة الزمنية الواقعة بين سنة 1928م و1930م فريسة مرض خطير، ربطها كثير من الأدباء بمشكلة الزواج[3]، وإن صدقنا أطباءه وخاصة الحكيم الماضري .

قلنا أن الشابي كان يتألم من ضيق الأذنية القلبية Retrecissementmiutral أي أن دوران دمه الرئوي لم يكن كافيا[4]، لكن الشابي يبدو أنه كان يحمل بذور مرضه منذ طفولته فقد ازدادت حالته صحية تدهورا بعد الزواج ولأسباب متعددة منها: تطور المرض مع الزمن، ثم ضعف بنية الشاعر، والأحوال السيئة التي كانت تحيط به في حياته الطلابية.

وقد كان لتركه الجري والقفز وتسلق الجبال والسباحة بالغ الأثر على وضعه الصحي والنفسي. وهو ما عكسه في إحدى يومياته المنشورة بتاريخ 16/ 1930/01، إذ

1 سورة: الروم، اية 21.

2 رضوان إبراهيم: التعريف بالأدب التونسي، ص ص 106 -107.

3 عبد المجيد الحر: أبو القاسم الشابي كوكب السحر، ص 74.

4 محمد فريد غازي: أبو القاسم الشابي من خلال يومياته، ط2، الدار التونسية للنشر،1983، ص33 .

قال: "ها هنا صبية يلعبون بين الحقول ... ومن لي بأن أكون مثلهم؟ ولكن ...ذلك والطبيب يحذر على ذلك...أه ياقلبي أنت مبعث ألامي ومستودع أحزاني، وأنت ظلمة الأسى التي تطغى على حياتي المعنوية والخارجية".[1]

وفي عام 1929م توفي والده فكان لذلك أثره البالغ في نفسه وعبئا ثقيلا عليه، فكان عليه أن يكون مسؤولا عن أهله وعن أسرته، وفي ديوانه إشارات واضحة وصريحة إلى تلك الكارثة التي ألمت به، ويظهر ذلك جليا في قصيدته "ياموت" التي رثى بها والده فقال:

ياموت قد مزقت صدري وقصمت بالازراء ظهري

وفجعتني في من أحب ومن إليه أبثُ سري

ورزأتني في عهدتي ومشورتي في كلَّ أمر[2]

ويعود في قصيدته " قيود الأحلام" ويكشف لنا عن الأعباء التي ينوء تحتها وتتمثل بالقيام بأعباء العائلة التي تركها والده حيث يقول:

لكني لا أستطيع فإن لي أما ، يصد حنانها أوهامي !

وصغار إخوان، يرون سلامتهم في الكائنات معلقا بسلامي

لكن الشاعر إستطاع أن يتجاوز تلك المحنة فتحسنت حالته المادية وعاد إليه بعض التحسن الصحي ويدل على ذلك قوله:

ماكنت أحسب بعد موتك ياأبي ومشاعري عمياء بالأحزان

انني سأطمأ للحياة واحتسي من نهرها المتمرهج النشوان

وأعود للدنيا بقلب خافق للص والأفراح والألصاب. [3]

1 أبو القاسم الشابي: مذكرات أبو القاسم الشابي، د ط، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 47.

2 ابو القاسم الشابي: ديوان ابي القاسم الشابي ورسائله ،تحقيق مجيد طراد،ط2، دار الكتاب العربي،1994،بيروت، ص12.

3 أبو القاسم الشابي: ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص13.

إذن فقد أصيب أبو القاسم بداء تضخم القلب في السنة التي فقد فيها والده، وكان في الثانية والعشرين من عمره، وقد نهاه الأطباء عن بذل أي جهد فكري أو جسدي، ومع ذلك لم يتوقف عن عمله شعرا ونثرا، مما زاد من خطورة وضعه[1] ،فطلبو إليه أن يعيش في المناطق الجبلية والطبيعية حيث الغابات والبساتين والوديان، وطلب إليه الكف عن إرهاق نفسه بالكتابة والقراءة ، لكنه لم يتمثل لنصائح الأطباء، فقد كان قلمه ملاذه الوحيد وسلوته في هذه الدنيا[2]. لذلك نجده كان يمضي صيف عام 1932م في عين دراهم في تونس المعتدلة مناخيا، كما زار منطقة المشروحة إحدى ضواحي مدينة قسنطينة بالجزائر[3].

إشتد عليه المرض سنة 1934م فتوجه إلى تونس العاصمة فنزل في المستشفى الإيطالي في 26 أغسطس [4] توفي سحرا يوم 9 أكتوبر سنة 1934م ،ثم نقل جثمانه إلى بلده (الشابية) قرب توزو حيث قبره، ثم نقل إلى توزو أمام دار الثقافة بين النخيل .

ولمكانته الشهيرة إحتفضت إدارة المستشفى ببطاقة الدخول إلى سجل فيها:

الاسم: أبو القاسم الشابي رقم 2567.

العمر: 26 سنة.

الدين: الإسلام.

الحالة المدنية: متزوج.

السكن: إريانة.

تاريخ الدخول: 1934/10/03 .

الفحص الطبي: مرض القلب.

تاريخ الوفاة: 1934/10/09. [5]

1 أبو القاسم الشابي: الديوان، ص7.

2 نجيب البعيني: موسوعة الشعراء العرب المعاصرين، 97.

3 سحر عبد الله عمران: أبو القاسم الشابي عبقرية فريدة وشاعرية متجددة، ص12.

4 أبو القاسم الشابي: ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله ، ص7.

5 عبد العزيز النعماني: أبو القاسم الشابي رحلة طائرة في دنيا الشعر، ص ص23 -24.

2- ثقافة:

أ- دراسته:

تلقى أبو القاسم دروسه التعلمية الأولى في المدارس التقليدية " الكتاتيب" أي المدارس القرءانية، وحظور حلقات الدروس التي كان يلقيها علماء البلدة، كما كان والده يحرص على تحفيظه القرءان، ويخصص له دروسا في البيت حتى سن 12 عشر، ولقد حقق الشابي حرص والده، فما أن بلغ التاسعة من عمره حتى كان قد أتم حفظ القرءان حفظا تاما وهذا دليل على عبقرية توشك أن تظهر، فقد كان والده يعلمه أصول العربية ومبادئ العلوم الأخرى حتى بلغ 11 عشر من عمره[1].

وفي هاتين السنتين نجده قد إطلع على بعض الكتب الدينية والصوفية والفلسفية القديمة المملؤة بها مكتبة والده، وفي 1921م في بداية الثانية عشر من عمره إنتقل إلى جامع الزيتونة وهو دار للعلم في العاصمة التونسية، يهتم بالعلوم العربية القديمة والعلوم الفقهية الشرعية وإستمر بها حتى تخرج عام 1928م، حاملا شهادة التطويع.

وإلتحاق الشابي بالزيتونة نقطة تحول هامة في حياته، وذلك راجع إلى الجو الجديد من الحياة التي إنتقل إليها، التي وجد فيها كثيرا من الحرية، والنشاط الأدبي، فإستغل الوضع وبدأ يقرأ كتب المهجرين كجبران وأبي ماضي، ثم إتجه بعد ذلك يطالع آثار كبار الأدباء كالأغاني والكامل... الخ وإلى المعاجم كلسان العرب والمحيط، كما أنه شغف بما كان يترجم إلى العربية من الآداب الأجنبية . سواءًا من الأدب الفرنسي والإنجليزي أو الأمريكي.[2]، فمنذ ذلك الوقت عرف أبو القاسم طريقه وعرف قدره، لقد كان الشعر طريقه وكان قدره المقدور[3].

وعلى أثر تخرجه من الزيتونة إلتحق بكلية الحقوق التونسية فتخرج منها سنة 1930م، وخلال 3 سنوات الأخيرة من دراسته قام بنشاط أدبي اجتماعي كبير حيث قاد

1 أبو القاسم محمد كرو: الشابي حياته – شعره، ص 25، (بتصرف).

2 المرجع نفسه، ص ص 26- 27، (بتصرف).

3 عبد المجيد الحر: أبو القاسم كوكب السحر، ص 66.

حركة لطلاب الزيتونة، التي كانت تهدف إلى إصلاح مناهج التعليم والإدارة في الكلية، كما ساهم في تأسيس النادي الأدبي بتونس العاصمة، ونادي الطلاب بئوزر، وكان من أبرز أعضائها حيوية ونشاط .

ب- شخصيته:

مظهر التفوق في كل شاعر عظيم، هوان تستطيع التعرف على شخصيته من شعره، وأن تخرج من قراءتك له بنموذج تحسن فيه خفقه الحياة. وفي هذا الإطار يقف الشابي شاعرا متفردا بخصائصه الذاتية، معروفا سماته الخاصة، واضحا بعواطفه وأفكاره ... وإن قصيدة " فكرة الفنان" لتقدمه خير تقديم، وتكشف عن جوهر شخصيته في صدق وأمانة، وحرارة[1] فيقول فيها:

عش بالشعور، وللشعور، فإنما دنياك كون عواطف وشعور

شيدت على العطف العميق، وإنها لتجف لو شيدت على التفكير

وتظل جامدة الجمال، كئيبة كالهيكل، المتهدم، المهجور

وتظل قاسية الملامح، جهمة كالموت، مقفرة، بغير سرور [2]

الإستقرار الموضوعي لحياة الشابي بإستنطاق الوثائق التي أرخت له تاريخا واقعيا، وكذلك الإستقراء النقدي بإستنطاق أدبه ولاسيما شعره بالنظر الباطني، يمكنان من إستجلاء بعض المقومات التي إنبنت عليها شخصيته بداية بالموهبة الشعرية التي ظهرت في شعر منذ صغره، وقوة الإرادة وصلابة العزيمة التي تتجلى في تكوينه العصامي، إضافة إلى الحساسية الفياضة التي كانت قاسما مشتركا بين الشعراء .[3]

1 محمد التليسي خليفة: الشابي وجبران، ط4 ،الدار العربية للكتاب، 1978،ص34.

2 أبو القاسم الشابي: ديوان ابو القاسم الشابي ورسائله، ص110.

3 عبد السلام المسدي: قراءات مع الشابي والمتنبي الجاحظ وابن خلدون، ط4، دار سعاد الصباح، الكويت ،1993، ص ص 15- 16، (بتصرف).

أما الصفات الجسمانية فقد كان منذ صغره نحيل الجسم مديد القامة سريع الانفعال رقيق الطبع حاد الذهن[1]. تكفكف رقة طبعه من عرب عاطفته وحدة ذهنه، يراه أصدقاؤه بشوشا، كريما، وديعا، متأنقا، طروبا لمجالس الأدب، يحب الفكاهة الأدبية، ويعرفه من لم يخالطه حبيبا محتشما وكان محبا لبلاده الوطنية[2] . ولقد أثرت في تكوين شخصية الشابي عوامل متعددة، كان لها بصمتها الواضحة في حياته النفسية وفي اتجاهاته الفكرية والأدبية وأهم هذه العوامل:

1. مرضه الذي ولد لديه حالة تشاؤمية في نظرته إلى الوجود وقد إنعكس ذلك في سلوكه.

2. واقعه أو حالته المادية التي نشأت من ضغط أعباء الحياة وتكاليفها عليه، خاصة بعد وفاة والده وتحمله مسؤولية الأسرة مبكرا مما حرمه الكثير من الحرية التي كان ينبغي أن يتمتع بها .

3. مطالعته الفكرية والأدبية التي صقلت موهبته وطبعت شعره بمسحة من الخيال وأدخلت عليه شيئا من الطرافة .

4. حال بلده في فترة الاستعمار: فقد كان يسوده البؤس الاجتماعي والتخلف الثقافي وضعف الأداء السياسي التي هي بمحملها من موروثات الاستعمار .

إن شخصية الشابي هي شخصية المجاهد في سبيل مثل أعلى، لذلك وجدناه زاهدا بالمناصب الرفيعة التي يتكالب عليها أصحابها، ليشعروا بشيئ من الفخر.. فالشابي على حد تعبير الناقد " جان طنوس" لا يتهالك إلا على الشعر، والمنصب الكبير الذي يطمح إليه إن جاز التعبير هو أن يؤدي رسالته الى هذا العالم بكل صدق وإخلاص[3].

ومنه نستنتج أنه ذو شخصية عاطفية حساسة وذو انفعالية، تجمع بين عبقرية أصيلة وشاعرية فياضة.

---

1 محمد بوزواوي: معجم الأدباء والعلماء المعاصرين من 1798- 2009، د ط، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009 ص 243.

2 عبد المجيد الحر: أبو القاسم الشابي كوكب السحر،ص ص 64- 65 .

3 هاني الخير: أبو القاسم الشابي شاعر الحياة والخلود، ط1، دار فليتس للنشر والتوزيع ،الجزائر، 2008، ص 14.

ج- مكانته وآثاره:

1- مكانته:

لقد تجاوز الشابي في عطائه الأدبي حساب السنين، فهو يستمد شعره من حياته ومعاناته، فلم ينفصل عن القديم أو يتعبد له بل أفاد من التراث في أعمق أعماقه، وإنفتح على الواقع الثقافي الجديد في أكثر من مجال، دون أن ينسى في تلاقي هذه الروافد نفسه أو عطاء ذاته أو قدرته على الخلق والإبداع، ومعاناته الخاصة العميقة والمؤثرة.

وتكرم مكانته في أدب المغرب العربي الكبير، وسائر أقطار العروبة، ويظهر أثره في أعمال شعراء معاصرين له، وبعده لاسيما في الإتجاه الواقعي والرومانتيكي في شعر الرفض والمقاومة والكفاح والتحرر والوطني والمنحنى الإنساني والعطاء الشعري المنفتح في بنائه المتنوع في موسيقاه، والجامع بين التراث والمعاصرة وإن مضى الشابي في عز شبابه، إلا أنه يعتبر بحق أحد شعراء الطليعة العربية في الإلتزام الوطني المقاوم، وأحد وسائل التجديد في أدب العرب وحياتهم، وأحد مشاعل الثورة في المغرب العربي وسائر الأقطار العربية، وأنه ليجسد بحق روح النهضة العربية الحديثة، وفعل البعث الوطني القومي في الشعر المعاصر ويتساوى مع آخرين في المشرق العربي مثل فوزي المعلوف والسياب وغيرهما.[1] وهو شاعرية عرفه جميع الشعراء والأدباء والنقاد.[2]

2- آثار الشابي الإبداعية:

خلف الشابي قبل وفاته عددا كبيرا من الآثار الإبداعية سواءا شعرا أو نثرا فرغم حياته القصيرة إلا أنها كانت حافلة بالعطاء الفكري والأدبي، ويمكن تقسيم آثاره إلى:

أ- آثار مطبوعة: وهي :

- **ديوان أغاني الحياة:** يحتوي على 285صفحة، طبع أول مرة من طرف دار الكتب الشرقية، دار مصر للطباعة ، قاهرة، في 1955م وهي أول طبعة للديوان بإشراف وتقديم

1 كاظم حطيط: أعلام ورواد في الأدب العربي، ص 248.

2 محمد عبد المنعم خفاجي: حركات تجديد في الشعر الحديث، ص169.

مستهلا بكلمة من شقيقه محمد الأمين الشابي [1] . ثم قامت الدار التونسية فطبعته طبعة ثانية سنة 1966م ، وأضافت إليه 7 قصائد للشاعر لم تنشر له في الطبعة الأولى .

إن ديوان الشابي الذي سماه أغاني الحياة هو فعلا أغاني الحياة بحلوها ومرها فقد رتبه بنفسه، وإختار ما يريده من القصائد وأهمل البعض الأخر، وكان يعده بذلك للطبع ولكن الموت منعه من ذلك.

- **الخيال الشعري عند العرب:** هو في الأصل كما يقول أبو القاسم الشابي محاضرة أو مسامرة ألقيتها بقاعة الخلدونية في العشرين من شعبان السنة الماضية.[2] ثم نشرها سنة 1929م في كتيب من 141 صفحة وجعلها في 7 أقسام:

*الخيال.

*الخيال الشعري والأساطير العربية.

*الخيال الشعري و الطبيعة .

*الخيال الشعري و و المرأة .

*الخيال الشعري و القصة .

*فكرة عامة عن الأدب العربي .

*الروح العربية والكتاب في مضمونه أدب مقارن قارن فيه مابين الخيال الشعري عند العرب والخيال الشعري عند الأوربيين، وقد أثارت دراسته هذه عاصفة هوجاء من النقد.

- **مذكرات الشابي:** وهي عبارة عن يوميات، دون فهي صورة عن يوميات قصيرة، لا تتجاوز 22 يومية، وقد بدأ بهذا النمط من الكتابة منذ مطلع 1930م، وقد طبعت هذه اليوميات في كتاب خاص، وما تتميز بها مذكراته هي أنه كان يكتب لنفسه يناجيها، ويستبطن خفاياها.

1 يوسف حسن نوفل: موسوعة شعر عربي حديث والمعاصر، ط1، مؤسسة المختار،القاهرة ،2005 ، ص159.

2 أبو القاسم الشابي: الخيال الشعري عند العرب، دط، كلمات عربية للترجمة والنشر، قاهرة، 2013، ص 09.

ب – آثار مخطوطة:

هي عبارة عن بعض الأعمال المترجمة:

. في مقبرة " رواية " ذكرها الأستاذ كروم .

. صفحات درامية " من حياة الشاعر" ذكرها الأستاذ كروم .

. السكير " مسرحية" ذكرها الأستاذ كروم .

إضافة إلى:

. قصة هجرة نبوية " وقد نشرها مجلة العالم التونسية".[1]

. شعراء المغرب " دراسة أعدها ليلقيها في النادي الأدبي، ولم يلقها .

. جميل بثينة .

. آثار شلبي. [2]

فضلا عن مجموعة من الرسائل توجه إلى أصدقائه ومنهم: البشروش والحليوى، أبو شادي، إبراهيم ناجي، وعلي ناصر وآخرون[3]. كان يخاطب بها أصدقاءه ويبثهم من فكره ورأيه وآلامه ومطامحه. [4]

إضافة إلى مجموعة من المقالات المختلفة التي تناول فيها شؤون الأدب العربي قديمة وحديثة على سواء، وقد نشر بعضا منها في حياته ولا يزال بعضها الآخر مغمورا في أحضان الإهمال والتقصير ومثال ذلك: مقال بعنوان روح ثائرة[5]. ولقد عني أكثر من باحث ومترجم بدراسة أشعار الشابي وعقد المقارنة بينة وبين آخرين، وتطورت الاهتمامات بالشابي وترجمة أشعارها إلى معظم اللغات تؤكد انه شاعر عالمي وإنساني، من طراز فريد ، وهو لهذا جدير بان يقرؤوه محبوا الشعر في كل مكان. [6]

---

1 أبو القاسم الشابي : الديوان، ص 07.

2 يحي مراد: معجم تراجم الشعراء الكبير، دط، ج1، دار الحديث، القاهرة، 2006، ص32.

3 أبو القاسم الشابي : المصدر السابق، ص08.

4 إبراهيم رضوان : التعريف بلادب التونسي ،ص133.

5 أبو القاسم محمد كرو :الشابي حياته–شعره ، ص86.

6 سحر عبد الله عمران: أبو القاسم الشابي عبقرية فريدة وشاعرية متجددة، ص ص16–17.

والملاحظ هنا أن الشابي رغم عمره القصير إلا أنه ملأ الدنيا شعرا ونثرا فكان صادقا في أدبه كل الصدق.

3- شعر الشابي وخصائصه:

أكاد أجزم أن العربية في شعرها الحديث لا تعرف شاعرا إتخذ من الشعر قضية يعيش من أجلها، كما إتخذها الشابي، وذلك سر من أعظم أسرار الشهرة التي يتمتع بها أدبه والتي تمد له مكانا في كل قلب. فالشعر عنده هو ما تسمعه وتبصره في ضجة الريح وهدير البحار وفي نسمة الوردة الحائرة يدمدم فوقها النحل ويرفرف حولها الفراش ،وفي النغمة المتفردة ليرسلها في الفضاء الفسيح.. وهو عنده تصوير لهذه الحياة التي تمر حوليك مغنية ضاحكة لاهية أو مقطبة .....

وكان أهم مظهر للتجديد عنده طريقته الفنية التي كان تتوفر فيها البساطة ، مع ما لديه من قدرة، فتأتي عبارته سلسلة بعيدة عن الممارسات البديعية، والمحسنات المتكلفة وثمة ميزة أخرى له، ذلك أنه خالف المجددين الذين يتناولون شعوبهم ساخطين ساخرين من أوضاعهم، فأقسى كلمة نراها في ديوانه هي قوله للشعب " أنت روح غبية تكره النور".[1]

وكان للثقافة الشعرية والأدبية التي طبعت عصر النهضة والانبعاث بطابع مميز وثقافة أدباء المهجر وشعرائهم، وثقافة شعراء المدرسة الرومنطيقية الفرنسية والإنجليزية والألمانية أثر بالغ في طبع شعر الشابي بطابعه المميز حيث أننا نجد في شعره تداعيات تلك الثقافة وخصائص تلك المدرسة. فالتشابه في الخصائص الفنية صفة واضحة في إتفاق الأدباء على تمجيد الفن والسمو به من الأغراض التافهة، ولعل جبران قد ألقى في نفس الشابي مثل هذا التقدير، فقد كان ثائرا على الهبوط بالشعر إلى الاهتمام بالتوافه الاجتماعية، وهي ثورة قام عليها صرح الأدب المهجري الذي إتخذ من الفن رسالة بعث وإحياء[2].

1 عبد العزيز النعماني:أبو القاسم رحلة طائرة في دنيا الشعر،ص ص 34-35.

2 محمد التليسي خليفة: الشابي وجبران،ص52.

إن الشاعر المطبوع هو الذي يستطيع أن يترجم خلجات النفس الإنسانية، ويصور الطبائع البشرية المتباينة في أداء واق، وتركيب سليم، هكذا كان الشابي يجمع ما تبعثر من الأحاسيس ثم يصورها ويخلع من روحه عليها طبيعته الشاعرة، التي تتعمق في تفسير ما يجيش في النفس تفسيرا يجعلنا نعجب بتلك العبقرية الناضجة لشاب لم يتجاوز 25 من عمره.

هذا الشاب الذي دعى إلى تحرير الأدب من قيوده التقليدية، فإتصلت دعوته الأدبية بدعوة إلى تحرر الإنسان من الظلم السياسي والاجتماعي الواقع به.

ويقول محمد كرو أن الأدب المهجري هو أهم عامل أثر في فكر الشابي إضافة إلى عوامل أخرى ذات اثر واضح في أدب شابي وتفكيره وأهم هذه العوامل في نظري ثلاثة:

- الأدب العربي المترجم.
- أسلوب طه حسين و تفكيره.
- الأدب العربي القديم: وأكثر أثر لهذا العامل يعود للمعري وإبن الفارص وإبن الرومي والخيام[1].

حين نقرأ شعر الشابي لا تعدم في تعبيره أو تصويره، وفي أرائه أو أفكاره خطوطا واضحة تدل على منبعها الأصلي، غير أنه يزيد بقوة في التعبير وبراعة في العرض والتصوير ومتانة في الأسلوب، وسعة اللغة وقوة الخيال وجمال في تراكيب وروعة في التشابيه والاستعارات.[2] ويتوزع شعر الشابي بين أسلوبين:

الأسلوب المتين والمحكم النسج، ويشكل القسم الأعظم من شعره، ومعظم قصائده في هذا الأسلوب كانت في الفخر والرثاء والحكمة، حيث الألفاظ الجزلة المتخيرة والغريبة

---

1 أبو القاسم محمد كرو: الشابي حياته – شعره، ص.52

2 المرجع نفسه ، ص.54

بان، إلى درجة تستدعي العودة إلى متون اللغة ومعجمها في بعض الأحيان، وهناك الأسلوب اللين ومعظم قصائده يغلب عليها طابع وجداني وخيالي .... .

أما التراكيب لدى الشابي فتأخذ منحيين: منحنى إلتزام فيه أساليب عربية وقواعدها منحنى آخر خرج على تلك الأساليب، وتحرر من قيودها مع محافظة على الأسس العامة لقواعد اللغة ومما إمتاز به أسلوبه أيضا الرصانة في التعبير والبعد عن الركاكة ... وكثيرا ما كانت الرومانسية بعاطفتها الجياشة وبتقديسها للشعور والإستخفاف بالعقل تحكم منهجه الأدبي، وتوجه سلوكه الفكري[1].

فاستطاع بذلك أن يبلغ وحدة عضوية في بعض شعره تتطور فيها القصيدة نحو الذروة ويعتمد نموها على جميع مكونات القصيدة، ونجده في أغلب الأحيان لم يخرج على نظام الشطرين التقليدي والقافية الواحدة.[2] فكان بذلك شعره شعر الحياة دونما تمويه، أو تصنع، وشعر التدفق الذي يصدر عن أعماق مشاعر المعاناة.

4- مواضيع ومراحل شعره:

أ- مواضيع شعره:

تناول شعر الشابي كثيرا من الموضوعات التي تتسم في معظمها بالجدة التي إنفراد بها إن ذاك وسط من يكتبون الشعر في المغرب العربي وقد تنوعت هذه الموضوعات بين:

- **الحب والغزل والمرأة:** كان الشابي في 15 من عمره عندما نهج أول قصيدة غزلية " الغزال الفاتن" التي نهج فيها منهج الشعراء الأندلسيين، لكن نجده بعد ذلك تحول إلى غزل حقيقي يبر عن آلام وآخرون ألمت بالمشاعر في فترة من فترات حياته، فالشاعر شاعر ملهم استيقظ احساسه بالحب على هدهدة تموجات حمالة، وأبصر أمله في فرح على تفتح بهجته، من خلال شعر شابي الذي يتشوق فيه الة المثالية المرضية لطموحه، ويشبع

1 سحر عبد الله عمران: أبو القاسم عبقرية وشاعرية متجددة، ص ص 15-16.

2 سلمى الخضراء الجيوشي : الاتجاهات والحركات في شعر عربي ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤ، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2001،ص ص 443- 444، (بتصرف).

روحه، والشعر الذي قاله في المرأة لا نستطيع أن نجد فيه إمراة معينة، لها شخصيا وطبائعها ومزاياها التي تتفرد بها كما نلاحظ أن شعر الشابي صادر عن نفسه المحرومة فكان يتغنى في المراة كمثل أعلى، ومن قصائده، الحب، ذكرى، صفحة من كتاب الدموع، ذكرى صباح ... الخ

- **أسر، موت، طبيعة:** غمر الحزن معظم قصائد الشابي، ودفعته غريزته إلى تصوير تشاؤمه والاكثار من الصور القائمة، ونجده قد تمنى الموت عندما وصل إلى طريق مسدود، فهو رسالة سامية لكن لا تتحقق لأن هناك جهلا مطبقا يعم في شعب بلاده، إضافة الى مرضه ويأسه فالموت هو الذي ينقص من سجن الوجود.

أما الطبيعة فهي غرض بارز في شعره فقد أكثر من وصفها، وذلك راجع لولدته في منطقة جبلية ، إضافة إلى إهتمامه بالشعر الرومنسي وإطمئنانه إلى المناظر الفتانة[1]. فقد كان يرى الطبيعة خرساء وصماء وتكاد تكون منعدمة في نظر الشعراء الكلاسيكيين، فحاول أن يجعل منها كائنا حيا ينطق بأحوالها، ويبث فيها نزعة رومنسية

- **الوطن:** لقد عاش الشابي وطنية أصلية تتجلى من خلال تعاطفه الحميم مع شعبه، فقد إطلع على هموم تونس كلها، ولم يغفل عن مصير وطنه رغم ما فعلت فيه عهود الإنحطاط، وما إعتدت عليه به عوادي الإستعمار، فأحبه وخاض غمار الدفاع عنه ويقول في قصيدة تونس الجبلية:

لست أبكي لعسف ليل طويل أو لربع غدا العفاء مراحله
إنما غيري لخطب ثقيل قد عرات ولم تجد من ازاحه
كلما قام في البلاد خطيب موقظ شعبه يريد صلاحه
ألبسو روحه قميص اضطهاد فاتك شأنك يريد جماحه[2]

إذن فالموضوع عند الشابي متنوع، فإلى جانب القصائد التي تعالج أفكار مجردة كتمجيد الشعر والطفولة والامومة، أو تلك القصائد التي تدور حول التأملات الداخلية

1 نجيب البعيني: موسوعة الشعراء العرب المعاصرين، ص ص 104- 105، (بتصرف).
2 أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص 24.

والأحلام الرومنسية، نجد قصائده الكبرى التي تدور حول التجارب الشخصية والاجتماعية[1].

ب . مراحل شعره:

- مرحلة الأدب الأندلسي والمهجري:

لقد راح الشابي يجاري الأندلسيين في طريقة نظمهم، وفي أساليب تصورهم للحياة، ثم في طريقة زخرفتهم وتنميتهم، ثم نهج الشابي نهج المهجرين مقتفيا آثار جبران منهم. وفعلت في نفسه ثورتهم الاجتماعية، وتطلعاتهم المستقبلية، وحرك أوتار شاعريته أسلوبهم الجديد في الكتابة والشعر، فنزع نزعة صوفية رواقية[2]. ففي السنوات الأولى كان يسير في الدروب المطروقة والأغراض التقليدية التي يبدأ بها كل شاعر ناشئ، وهي مرحلة مطبوعة بطابع الأشواق والتطلعات، ونلاحظ في نهاية هذه الفترة تطورا ما، حيث يحاول أن يتخلص من أسر الألفاظ ومن البراعة اللغوية ولكنه يظل واقعا في أسر الموسيقى، يحاول فيها بعض التجديد، فيقع في الحفاظ على النغم التقليدي والنزعة التجديدية، لذلك نجده لجأ إلى الموشحات[3] فهو إذن يتميز بسمات رومنتيكية حادة في حياته الفنية: حافلة بالألم والقلق، الحنين، المتدفق حزنا وفرحا، الغارق في خضم التأمل.

- مرحلة المواجهة مع الموت:

توفي والد الشاعر، فكانت الصدمة عنيفة، فشعر بثقل الحياة ومسؤولية العائلة، وتدهورت حالته الصحية، فنظم قصيدته المشهورة " يا موت" حيث وجد الشاعر نفسه في هذه المرحلة، وإهتدى إلى النغمة الصحيحة، ففي قصائده مثلا " نشيد الأسى"، "يابن امي"...الخ بدايات تختلف عن شعر المرحلة الأولى، فنجد فيها نضجا في العبارة والصورة

1 سلمى الخضراء الجيوشي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي، ص 439.

2 محمد بوزواوي: معجم الأدباء والعلماء المعاصرين 1798 إلى 2009، ص 345.

3 إبراهيم رضوان: التعريف بالأدب التونسي، ص ص 143- 144، (بتصرف).

والفكرة، وتركيز أكثر في العاطفة ووحدتها الواضحة وساد شعره اليأس والحزن، فتميز بالنبرة الحزينة التي تنقل للقارئ إحساسا عميقا بالألم والإكتئاب[1].

- مرحلة المأساة والفاجعة:

مرت به أزمة نفسية في نهاية عام 1933م، بدأت على إثرها مرحلة جديدة في حياته نستطيع أن نسميها مرحلة القوة، فيقول الشابي في إحدى رسائله موجهة إلى صديقه محمد الحليوي في 19 ديسمبر 1933م، "الفرق بيني وبين نفسي الأولى أني كنت أتقبل آلام الحياة وانحس أشواكها بنفس ضارعة وقلب دامع باك، أما الآن فإنني ألقاها ببسمة الساخر، ونظرة الحالم، المنتشي بجمال الوجود"[2] ، فنجد شعره يتميز بالمرح والمغامرة، التفاؤل وقوة الإرادة والإقبال على الحياة، ويتخلى عن الملامح الرومانسية، وتصبح صور الشاعر واقعية وعميقة.

5- آراء نقدية حول الشابي:

عند تقويم الشابي ،على النقاد أن يتذكروا ضيق أبعاد الشعر في زمانه ومدى إنجازه بالقياس إلى إنجاز معاصريه، ويجب أن يتذكروا كذلك سنوات عمره القصيرة، وإذا كان نبوغه لم يستطع خلال عمر مأساوي القصر، أن يستكمل القدر الجمالي الذي كان مهيأ له أن يبلغه، فإن ذلك النبوغ يجب ألا يضيع في الإهمال، أو في مطاوي النسيان.

قيل إن النقد الفني يجب أن يحصر همه في الطاقة الشعرية وحدها، وكثيرا ما دافعنا نحن عن حقها في التقدير، ومع ذلك فقد لا تتجاوز الطاقة الشعرية الضائعة طيش النيازك أو عبث الصواريخ، أما " الشابي" فقد أبى أن تحمل طاقته الشعرية الخارقة، سوى الحقائق الأزلية الخالدة، أبى ذلك بطبعه، وبتزاوج الوعي مع اللاوعي في نفسه، تزاوجا غير مفتعل، فخلدت رسالته في فنه، وخلد فنه في رسالته، ولم يستطع أحد من آلاف المنتشين برحيقه أن يفرق بين الطعم والجوهر[3].

---

1 إبراهيم رضوان: التعريف بالأدب التونسي، ص ص 148- 149، (بتصرف).

2 ابو القاسم الشابي: ديوان أبي القاسم ورسائله، ص 280.

3 أحمد زكي أبو شادي: قضايا الشعر المعاصر، د ط، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 85.

فالشابي مثل جبران أو أبي شبكة يصعب تصنيفه رومانسي رمزي واقعي، روح مضطرب قوي تهمه الثورة والإبداع وتغيير وجه الحياة فقط، ولذا كشف الشعراء الآخرين لإفريقيا الشمالية الذي تخلوا عنه كثيرا، ولفت المتلقي المشرقي.[1]

وسنذكر آراء بعض الناقدين فيقول:

أبو القاسم محمد كروا أن الشابي نسيج من العبقرية وحده، محدد بكل ما في هذه الكلمة من معاني ومفاهيم، وعندي أنه ليس مجددا فحسب بل زعيما جريئا بين المجددين.[2]

كما يذكر الشاعر العراقي فالح الحجية في كتابه شعراء النهضة العربية بأنه شاعر وجداني وهو برغم صغر سنه شاعر مجيد مكثر يمتاز شعره بالرومنسية، فهو صاحب لفظة سهلة قريبة من القلوب وعبارة بلاغية رائعة يصوغها بأسلوب أو قالب شعري جميل.. بحيث جاءت قصيدته ناضجة مؤثرة في النفس خارجة من قلب معنى بها ملهما إياها كل معاني الثاثر النفسي بما حوله من حالة طبيعية مستنتجا النزعة الإنسانية العالية لذا جاء شعره متأثرا بالعالمين النفسي والخارجي.

أما محمد خليفة التليسي في كتابه الشابي وجبران فيقول أن الشيء الثابت الذي لا ريب فيه هو أن الشابي كان رائدا كبيرا من رواد التجديد في الشعر وفي الوجدان الحضاري .. رفض والنموذج الثابت المستقر، وثار عليه، ودعا لتجاوزه من أجل إيقاظ حسن الأمة وزيادة رصيد الإبداع لديها.. فإتخذ من الشعر قضية يعيش من أجلها، وتحولت لديه إلى قضية تستوعب إلتزامه وثورته الحضارية، فكان التجديد في الشعر عنده تجديدا في الثقافة وبعثا حضاريا شاملا[3].

1 عباس بن يحي: مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، د ط، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2004، ص97.

2 أبو القاسم محمد كرو: الشابي حياته – شعره، ص 09.

3 خليفة محمد التليسي: الشابي وجبران، ص ص 220– 221.

ويذهب عبد الله شريط في كتابه الشابي وهذه الحياة أنه كان يتبرم بالحياة في أشعاره وينفر من المجتمع والناس، وذلك راجع لحبه للحياة حبا مثاليا، كما كان يحب الناس حبا خالصا.[1]

ويذهب محمد مندور في كتابه الشابي . روح ثائرة . بأنه عند مطالعته لقصائد الشابي كاد يجزم بأنه يجيد لغة واحدة مكنته من الإلهام بآداب الغرب، بل وتذوقها وإحساسه بها ... وهذا ما جعله يتأكد أنه أمام إحدى العبقريات التي لا يستطيع البشر لها تفسيرا[2].

ولا شك في أن النقد العربي الحديث لم يظهر إهتماما خاصا بإعادة تقويم قصائد حديثة قيمة أصبحت منسية اليوم، فقد انحصر جهد النقاد في الإنجازات المعاصرة، أما شعراء مثل الشابي وأبي شبكة والهمشري وغيرهم فهم لا يبتعثون في النقد إلا في مناسبات خاصة لا نتيجة إستقصاء نقدي[3].

إذن تلك هي الملامح العامة لشخصية الشابي التي تكشف لنا عن نفسية الفنان العاشق الثائر في حياته بأطوار مختلفة، عاش فيها بين الأمل والألم، بين الفرح والحزن بين الشوق والحرمان، بين الحياة واليأس.

1 عمر فروخ: الشابي شاعر الحب والحياة، ص 228.

2 المرجع نفسه ،ص 233.

3 سلمى الخضراء الجيوشي: الاتجاهات والحركات في الشعر الحديث، ص 446.

الفصل الثاني

تجليات البعد الوطني في شعر الشابي .

1- الوطنية وخصائصها في شعر الشابي .

2- دراسة فنية وجمالية لقصيدتي

(النبي المجهول) و (إرادة الحياة) .

كان الشعر في القديم يعرف بأنه كلام موزون "مقفى" وبهذا أصبحت القصيدة العربية مقيدة بقيود شكلية عديدة كالحدود في استخدام اللغة أي التمسك بالقواعد وأصول اللغة... الخ.

وبما ان الزمن يتطور، فالإنسان يتطور ولغته وأساليب تفكيره أيضا، لذلك ظهرت فئة من الشعراء اعتبروا الشعر فنا وبأن هذا الفن لا غاية له سوى التعبير الجميل عن الذات وما يجول فيها. فبدى للشابي كما بدى لغيره أن الوعي الشعري هو أن يتخلى عن النموذج القديم للقصيدة العربية ، وعن نماذج التقليدية الوافدة من المركز وعلى الشعراء أن يتبنوا اختبارات وصيغا جديدة في علاقاتهم بمفهوم الشعر[1] ، وبهذا تمردوا على القيود القديمة ونبذوا الأساليب الموروثة واقتربوا أكثر إلى لغة الكلام الطبيعي.

لم يكن تمرد الشابي في الشكل فقط، بل تعدى الشاعر إلى الأفكار وبالتالي إلى المضمون، فكانت بذلك أشعاره متمردة على الظروف والشعب، على الوضع الذي آلت إليه تونس وعلى المستعمر، فندد الشابي بكل مظاهر العبودية والاستغلال، وفضح كل المناورات الاستعمارية الهادفة إلى سلب حرية الشعب وكرامته، وأحس بانه يحمل رسالة نبيلة لا بد من ان يوصلها اتجاه وطنه ومجتمعه، وبما أن الشابي شاعر وجداني نجد أن: «الشاعر الوجداني يعتقد أنه صاحب رسالة تقوم على مثل عليا من الأخلاق والسلوك لا سبيل لسعادة مجتمعه الإنساني بدونها»[2] .

لذلك اتجه الشابي لكتابة الشعر الرومنسي، فانسياق الشابي مع النزعة الرومنسية و الإنخراط فيها لم يكن للبكاء والتألم والنقمة، بقدر ما كان توقا للمجهول وتفجيرا للعصيان في قلب كل من لمسته لهفة اليقظة الطامحة: «ففي أطوار الانقلابات الكبرى

1 يوسف ناوي: الشعر الحديث في المغرب العربي، ط1، ج1، دار توبقال للنشر، المغرب،2006، ص198.

2 عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي الحديث، ط3، دار النهضة العربية، لبنان، (دت)، ص282.

التي يريد فيها التاريخ أن يدور دورته المحتومة الخالدة، تأخذ نفسيات الشعوب التي ستولد مرة ثانية في التطور والتحرر»[1].

وكان شعر المقاومة لدى الشابي ركن عظيم من أركان الأدب العربي التونسي الحديث، ومن أوسع الأبواب الشعرية التي يكتب فيها، فالشاعر المقاوم عليه أن يضع مصيره بيده ويكون داعيا إلى التحرر والاستقلال ملتزما بقضايا مجتمعة.

1/ الوطنية وخصائصها في شعر الشابي:

أ- أثر الأدب المهجري في شعر الشابي:

من المعلوم أن الأدب المهجري يمتاز بتبرمه الناعم وثورته الجامدة، وصوفيته الحالمة، وضروب شتى من ألوان المثالية المجنحة في الحب والحياة والميول والآمال التي تتحقق في أدب الشابي، ولأنه كان طموحا وجد في الشعر المهجري ضالته.

وهو في هذا كله كان تلميذ جبران ... الذي انتهى في ادبه إلى الثورة على كل قديم ... وهو مذهب تأثر به الشابي ... وهناك أمثلة عديدة للصور الجبرانية في شعر الشابي .. لذلك فإنه يتوجب الإلتفات إلى جبران بصفة خاصة إذا أريد منهم الشابي[2].

والثابت أن الحب والحرية والتمرد، هي العناصر البارزة التي تقوم عليها فلسفة جبران أو مذاهبه في الحياة، وهي التي تكون مضمونه الأدبي، وهذا ما يبدوا جليا في أدب الشابي الذي كان يؤمن بالطموح إيمانا عميقا، وكان يبعث في شعبه عن صورة المغامر الثائر في سبيل تحقيق مطامحه، ولعل التأثير الجبراني يبدوا جليا في كتابات الشابي النثرية وفي كتابه الوحيد "الخيال الشعري عند العرب" فالتأثير واضح المعالم في هذا

1 محمد صالح جبري: الشعر التونسي المعاصر 1870-1970، دط، الشركة التونسية للتوزيع ، 1974، ص ص 261-262.

2 نسيب النشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989، ص284.

الكتاب وكثير من أفكار جبران عن الخيال، والخيال الشعري ثم طريقته في الكتابة ذاتها تؤكد فرضية هذا التأثير[1].

وتذكرنا ثورة جبران على ما يوجد في الحياة من ضعف، بثورة الشابي على الشعب الذي كان يراه غير جدير بالحياة ولم تقف هذه الحملة على التمرد والثورة على الشعب فقط، بل تعداه إلى الكهانة ورجال الدين سواءا في ذلك الإمام المسلم أو القس، فيرى جبران أن الكهانة «هي الحرفة الأولى التي ابتدعها الإنسان بدون حاجة حيوية أو داعي طبيعي له».[2]

وبهذا أصيب الشابي كما أصيب جبران بنتائج هذا الثورة فأتهم الأول بالخروج عن الدين، وأتهم الثاني بالتطرف ومحاربة الكنيسة، وبهذا أحس كل من الشاعرين بأنه غريب بين قومه وأبناء وطنه.

ولكن هناك من يرى العكس فينفي بأن الشابي تلميذ جبران وأنه قد تأثر به حيث يقول خليفة محمد التليسي في كتابه الشابي وجبران انه: يشك كل الشك في أن يكون الشابي تلميذ الحافظ، ولدي من الأدلة ما يدعم هذا الشك، أولهما أن التلمذة من الكلمات التي تحمل معنى واسعا شاملا، لا يقف عند الانسياق إلى دعوة التجديد، فلا تكفي دعوة حافظ إلى التجديد لأن تحشر كل من جاء بعده في زمرة مدرسته.

إن التلمذة تعني أشياء غير هذا، تعني التشابة في الخصائص الفنية، من صياغة ومضمون وفلسفة في الحياة، وما أحسب أحدا يزعم الشابي كان يشبه حافظ إبراهيم في ذلك، فإنهما كان على طرفي نقيض ... فشخصية حافظ لا تتفق مطلقا مع شخصية الشابي، وأن مذهب حافظ في التجديد لا يلتقي في اي طريق مذهب الشابي.[3]

---

1 عدد خاص بخمسينية الشابي- مجلة الفكر ، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، عدد 30 نوفمبر 1984، ص152.

2 المرجع نفسه، ص153- 154.

3 خليفة محمد التليسي: الشابي وجبران، ط4، الدار العربية للكتاب، 1978، ص50.

حتى الوطنية حافظ علم من أعلامها في الشعر المعاصر، لا نستطيع أن نجد متشابهة فيها بينه وبين الشابي، فقد كان حافظ محليا في وطنياته وهذه حقيقة يؤكدها أكثر من اديب، إذن حافظ لم يكن يطل على أحداث وطنه من أفق إنساني عام، ومن هنا تفقد قصائده كثيرا من قيمتها إذا ترجمت، ولا تفقد أغلب قصائد الشابي شيئا من قيمتها ... ومن هذه النظرة نستطيع أن نلم الفرق بين مذهب حافظ ومذهب شابي في الوطنية[1].

وهكذا نجد أن الشابي إلتقى بجبران ووجد فيه الرفيق الصادق لروحه ومشاعره إلتقى معه في الثورة على المستعمر، ، في استنهاض الشعب، ثم كان لهما المصير نفسه عند محاربة رجال الدين والكنيسة لهما، وأخيرا كانت ضالتهما في الهروب إلى الغاب والطبيعة يقول جبران:

ما السعادة في الدنيا وى شبح يرجى فإن صار جسما مله البشر

يقول الشابي:

ما السعادة في الدنيا سوى حلم ناد تضحى له ايامها الأمـــــــم

يبدو من خلال البيتين أن موضوع القصيدة واحد وهو السعادة، فقد حاولنا إثبات مدى تأثر الشابي بجبران من حيث المضمون بفلسفة الحياة والإيمان بها.

ب- الوطنية من منحى أبي القاسم الشابي:

يقول "شوقي ضيف" في كتابه "دراسات في الشعر المعاصر": « وهذا الشعر السياسي أو الوطني كان منتشرا في كل بلاد الشرق الأوسط في مصر والشام والعراق ولكن شاعرا لم يبلغ في هذه البلدان ما بلغه الشابي في تونس».[2]

من خلال هذا القول نتأكد بأن الشابي كان رجلا يسري في دمه حبه لوطنه وللحرية والكرامة فعند قراءتنا لشعره، نجد فيه هموما روحية أكثر ما هي مادية، وكان حزينا وهذا الحزن امتدت جذوره إلى واقع المجتمع الذي كان يثير الكآبة والحزن في نفسه، فجسد هذه الأحزان والهموم ونسجها في أشعاره فتمثلت تلك الوطنية.

1 خليفة محمد التليسي: الشابي وجبران، ص159.

2 المرجع نفسه، ص160.

تلك الوطنية التي تعتبر شعور ذاتي يرضخ الإنسان بموجبه إلى دوافع نفسية ومنازع ذاتية يتألب فيها مع المجموعة البشرية المنتمي إليها تألب وجدانيا إنفعاليا، والشعور الوطني عند الشابي حاد يصل إلى الذوبان والانصهار في الرمز الوطني الأوفى "لفظ تونس" فتقوم بين الشاعر ورمز عاطفته علاقات من الحب والإخلاص ثم النضال والغذاء[1].

ولشدة هذا الشعور الوطني الحاد لم يعطي الشابي مفهوما مباشرا للوطنية بل عبر عنها بثورة عارمة ضمنها في شعره فكانت ثورتة على الشعب والظلم، وهذا ما نستشفه من وطنية شاعر احب وطنه وأراد الذود عنه، وهنا ما ذكره " محمد العروسي المطوي" في قوله يتمثل هذا الشعور أولا في الانشقاق والحسرة وابداء العطف والحنان والاستعداد للفداء ثانيا في إثارة الشعب ضد الظلم والطغيان، وفساد الأوضاع وباطل التقاليد، ويشتمل ثالثا في تهديد الظالمين والطغاة بثورة الشعب وطغيانه كوسيلة الجارف الغشوم، ثم يتمثل هذا الشعور في تشاؤم الشابي ويأسه وصب جل غضبه عليه، ثم الاعتزال والهروب إلى عالم خيالي اختاره ليعيش فيه مع عالمه العاطفي الذي شده من آماله وآلامه الاشفاق والعطف.

1- المنظور القومي عند الشابي:

موقف الشاعر من شعبه يشكل قضية تختلف فيها أوجه الرأي: هل هو كاره لشعبه يجاهره العداء، ويحقره ويزدريه، ولا يعترف أنه من بين شعوب العالم جدير بالحياة والحرية والتقدم؟ هل يبادل الشعب عداء بعداء وإهمالا بإهمال؟ هل ينقم على شعبه ما جرعه من مرارة الحرمان والجحود؟.

كل هذا يدور في خلد قارئ شعر الشابي، وخاصة قصيدتيه "إلى الشعب" "والنبي المجهول" لكن المتأمل فيما وراء الألفاظ يجد الشابي أحرص ما يكون على حرية شعبه وعلى تقدمه ألا أنه حينما يثور على الرجعية والجمود والتخلف لا يجد غير الشعب من يتوجه إليه بشرف الخطاب، أو من يوجه إليه العتب، إنه في الظاهر يعنف الشعب

1 عبد السلام مسدي: قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، ط4، دار سعاد الصباح، القاهرة، 1993، ص56.

ويواجهه باللوم، لكنه في الواقع يشكو إليه ويستعديه على النقائص وكل المعوقات... فهو الذي يستحث شعبه في قصيدته "ليت شعري"

يابني الأوطان هبو فلقد طال الوجـــــوم

وأنهضوا نهضة جبار بعزم مستقيـــــــم

لست أبغي نهضة العاجز يتلوها الحســـوم

ليت شعري: هل سحاب الجهل تذروه العقيم

فترى الأعين بدر العلم قد شق الغـــــيوم[1] .

كما اعلى في قصائده صوت النداء الموقظ لكل غافل عن واجب النهوض ببلاده إلى مجد التحرر والإنعتاق في قوله:

لست أبكي لعسف ليل طويل أو لربع غدا العفاء مراحـــه

إنما عبرتي لخطب ثقيـــــل قد عرانا، ولم نـجد من أزاحه

كلما قام في البلاد خطيـــب موقظ شعبه يريد صلاحـــه

ألبسوا روحه قميص اضطهاد فاتك شائك يرد جماحـــــــه[2]

نرى الشاعر يريد أن يحرك في شعبه نار الثورة ولهيبها لتحرير الوطن بأيه طريقة أو صورة، فهو يريد لشعبه النهوض ليكون حرا طليقا ويجد أفضل صورة لاستنهاضه أن يذكر بأن الله خلقه حرا في هذا الوجود الفسيح، وهيأ له كل ألوان الحياة السعيدة، فكيف يرضى بذل القيود والعبودية فيقول في قصيدته "يأبن الرومي":

خلقت طليقا كطيف النسيم وحر كنور الضحى في سماه

تغرد كالطيران أين اندفعت وتشدوا بما شاء وحي الإلـــه

وتمرح بين ورود الصباح وتنعم بالنور أنى تـــــــــراه

وتمشي كما شئت بين مروج وتقطف ورد الدجى في ربـــاه

فمالك ترضى بذل القـــيود وتنحى لمن كبلوك الحيـــاة؟

1 رضوان إبراهيم: التعريف بالأدب التونسي،دط، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1977، ص153.

2 عبد المجيد الحر: أبو القاسم الشابي كوكب السحر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،1995، ص114.

كذا صغك الله، ياابن الوجود والقتك في الكون هذي الحياة[1].

هذه القصيدة هي صوت صارخ مدوي يدعوا الانسان دعوة صادقة ليفهم بأنه خلق حرا طليقا كالنسيم، وكالنور ينطلق أينما أراد ويمشي أينما يشاء، فهكذا ساقه الخالق سبحانه فكيف يرضى هو بالذل ويحني رأسه للمستعبد، وهذا ما نجده يتساءل عنه بطريقة مليئة بالغضب والتنديد في جملة بسيطة، تحمل كل هذه المعاني الساخطة بداخلها في قوله: فمالك ترضى، فالشابي يتساءل عن رضى الشعب لذل القيود، وعن سكوت صوت الحياة والعيشة في الكهوف المظلمة بدل الحياة المضيئة.

هذه المعاني التي تدعوا الشعب للنهوض في قصائد أخرى:

أين يا شعب قلبك الخافق الحساس أين الطموح والأحلام؟

أين يا شعب روحك الشاعر الفنان أين الخيال والإلهـام؟

أين يا شعب فنك الساحر الخلاق أين الرسوم والأنعـام؟

أن لم الحياة يدوي حوالـــــــيك فأين المغامر المقدام؟[2].

فهنا الشابي يخاطب شعبه الذي مات قلبه حاملا الطموح والأحلام وماتت فيه روحه حاملة الخيال والإلهام وحتى الفن والإبداع لا يحس بها، ولا يحس حتى بالحياة فهو شعب كسول لا مبال تدعوه الحياة إلى المغامرة وهو ساه لا حضور له، على مسرحها فعالمه منطفئ كعالم الموتى في القصيدة نفسها يتابع فيقول:

قد مشت حولك الفصول وغنَتك فلم تبتهج، ولم تتَرنـــم

ودوت فوقك العواصف والأنواء حتى اوشكت أن تتحطم

وأطافت بك الوحوش وناشتك فلم تضطرب ولم تتألــم [3] .

1 أبي القاسم الشابي: ديوان ابي القاسم الشابي ورسائله، شرحه وقدمه مجيد طراد، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994، ص187- 188.

2 المصدر نفسه، ص153.

3 المصدر نفسه، ص154.

فيتأمل الشاعر شعبه ويخاطبه بدهشة من الحركة والتغيير الساري في هذا الوجود فيعطيه دلالة ظاهرة من الطبيعة التي لم تغيب عنه حتى في غضبه وثورته على شعبه النائم فلا شيء أبدا في هذا الوجود يقوم في مقامه والفصول خير دليل على ذلك.

2- سخطه على الشعب التونسي:

برغم كل ما قاله ظلت الكلمات في شعره تحرك الصخر الجامد، وتهز النفوس، حيث نجد المجتمع في زمن الشابي بقي راكد، فهو كالأشباح المتحركة، فلم يظفر منه شاعرنا بأي جواب لهذا، فهو يثور عليه ويود لو يحطمه، لكن هذا لا يعني كره الشابي لشعبه بل هذا هو أسمى درجات الحب وتمنيه أن يكون هذا الشعب حرا سعيدا.

وهذا ما نجده عند الشابي الذي يثور بعنف وقسوة ساخطا على شعب غير آبه لخطابه مريدا تمزيقه كما تمزق هو من أجله يريد أن يقذفهم بالحجارة فيدميهم ، لقد كان يريد لهذا الشعب أن يسير في هذا الحياة وأن يغامر من اجلها وان ينهض بها، وهذا ما عبر عنه في قصيدته "ياابن الرومي" :

ألا انهض وسر في سبيل الحياة فمن نام لم تنتظره الحيـــاة

لا تخش مما وراء التـــــــلاغ فما تم إلا الضحى في صباه

وإلا ربيع الوجود الغريـــــــر يطرز بالورد صافـــي رداه [1].

إنه يريد ان يوقظ النيام، أون يدفع الجامدين بقبضة يده، أن يحرقهم بوقدة أشواقه ليبحر جوا إلى الحياة السلمية البريئة من القيود إنه يريد لشعبه الحياة ذات الأشواق والرغبات المتدافعة البريئة من آفة الركود.

3- الغربة والهجرة إلى الغاب:

لم ينل مراده من هذا الشعب الذي لم يفهمه، فيخاطب شعبه الذي قدم له كأس الحياة و العيش الطيب فداسه ولم يقبل به، فتألم وسكت ثم قدم له زهور الوجود والحرية، فمزقها وألبسه مقابل كل ما قدمه له ثوب الحزن والشوك، ثوب الخمول والجمود.

1 أبي القاسم الشابي: ديوان ابي القاسم الشابي ورسائله، ص188.

لم يقف شعبه عند تجاهله وتناسي كلماته الثائرة فقط بل تعدى إلى إضطهاده وإتهامه بالجنون والسحر، غير ذلك من أقوال شعب غافل ونجد هذه الإتهامات قد جسدها الشابي في قصائده منها قصيدة "تونس الجميلة":.

كلما قام في البلاد خطـــــيب موقظ شعبه يريد صلاحه

أخمدوا صوته الإلاهي بالعسف أماتوا صداحه ونواحـــــه

ألبسوا روحه قميص اضطــهاد فاتك شائك يرد جماحـــه[1].

فهل بعد كل ما قدمه لهم من حيرة يكافئونه بالاتهامات وعدم النهوض معه، فقد خذله واقع مجتمعه حقا، لأنهم رضوا بإستعباد القوي للضعيف فأحس بغربة خانقة في هذا الوطن وبين اهله، فصاح يقول في قصيدته "الكآبة المجهولة" :

أنا كئيب

أنا غريب

كآبتي خالفت نظائرها غريبة في عوالم الحزن

كآبتي فكرة مغـــــردة مجهولة من مسامع الزمن

لكنني قد سمعت رنتها بمهجتي، في شبابي الثمل.[2]

ومن كلمات الشابي أيضا عن الغربة : «أشعر الآن أني غريب في هذا الوجود وأنني ما إزداد يوما في هذا العالم إلا وازداد غربة بين أبناء الحياة، وشعورا بمعاني هاته الغربة الأليمة، غربة من يطوف مجاهل الأرض، ويجوب أقاصي المجهول، ثم يأتي يتحدث إلى قومه عن رحلاته البعيدة، فلا يجد واحدا منهم يفهم من لغة نفسه شيئا الآن أدركت انني غريب بين أبناء بلدي ... وتلك هي مأساة قلبي الدامية»[3].

1 أبي القاسم الشابي: الديوان ، شرحه وقدمه أحمد حسن بسج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 1999، ص161.

2 المصدر نفسه، ص27.

3 أبو القاسم الشابي: مذكرات أبو القاسم الشابي ،دط ،مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012، ص27.

كما شعر الشابي بخيبة الأمل وخيبة نداءه صاح بانقطاع الرجاء وصمم على إعتزال الناس في قلب الغاب:

إنني ذاهب إلى الغاب يا شعبي لأقضي الحياة وحدي بيـــأس
أني ذاهب إلى الغاب عليَ في صميم الغابات أدفن بؤسي
ثم أساك ما استطعت فما أنت بأهل لخمرتي ولكأســـــــــي

4- موقفه من الاستعمار:

إن الذي يحمل قلبا كقلب الشابي مليئا بالحب والخير لأهله لم ينس أبدا أهله وشعبه برغم مالقيه من آلام كثيرة، ولكن نجد الكلمات التي قالها في موضع غضب إنما كانت المأوى الروحي له فقط، ولهذا نجده ينتقل من تنديد لشعبه إلى التنديد بالمستعمر، بسبب هموم الشعب وبؤسه.

فلقد شعر الشابي بأنه يحمل على عاتقه هموم شعبه، فأدى ذلك إلى توحيد ما بين همومه الفردية وهموم قومه، وغدت القضية الذاتية قضية جماعية في آن واحد معا ، مادام الشاعر يعتبر جزء لا يتجزأ من المجتمع الذي يعيش فيه، فهو حين يتحدث إلى الطغاة –طغاة العالم– وإلى أهل الظلم والاستبداد ويرمز خلال ذلك إلى الحكم الفرنسي في تونس، وإلى الحكم المستبد في أي بقعة من بقاع العالم، فنراه يثور ويهدد ويتوعد بنبرات حادة وأصوات مدوية، وأمل قوي بإنهزام الظلم وإنتصار المظلوم....[1]

ألا أيها الظالم المستبد حبيب الفناء عدو الحياة
سخَرت بأنَات شعب ضعيف وكفُك مخضوبة* من دماه
وسرت تشوه سحر الوجود وتبذر شوك الأسى في رباه[2].

فالظالم المستبد عدو الحياة صديق الموت، يعبث بمصائر الشعوب الضعيفة وسفك دماءها فغير خفي ما في هذا الشعر من إشاره إلى نهاية الاستبداد الفرنسي في تونس آتية

1 أحمد أبو حاقة: الالتزام في الشعر العربي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت ، 1979، ص252.
* مخضوبة: مصبوغة ، ملطخة.
2 أبو القاسم الشابي: ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص188.

لا ريب فيها، ونهض يهدد بأن الشعب الذي داسه سينهض بصوت رهيب، صوت الحق الذي لا ينام على الظلم الحق الذي لا يعلو عليه شيء مهما طال الأمد، وهذا ما قدمه لنا في قصيدته "قالت الأيام":

يا أيها السادر في غيه ! يا واقفا فوق حطام الجباه !
مهلا ! ففي أنات من دستهم صوت رهيب سوف يدوي صداه.
لا تأمنن الدهر، إما غفا في كهفه الداجي وطالت رؤاه
فإن قضي اليوم وما قبله ففي الغد الحي صباح الحياة
يا أيها الجبار لا تزدري فالحق جبار طويل الأناه[1].

5- موقفه من الحرية :

تغنى أبو القاسم الشابي بالحرية الفردية وحرية الشعب، التي ينتقص منها المستعمرون فلجأ إلى التحريض، ودعا دعوة صريحة، لايخاطبها لبس، ولايشوبها غموض إلى تصدي الطغاة والتضحية في سبيل إنتزاع (الحرية) الفردية والجماعية منهم، مؤكدا أن حرية الفرد أيا كان تستمد أساسا من حرية شعبه ومجتمعه، وقصيدته المشهورة إرادة الحياة من القصائد النادرة الذي يساوي فيها ناظمها بين الحياة، وهي مطلب بيولوجي- والحرية هي مطلب فلسفي وجودي إذ أن تحقق وجود الفرد لايكتمل إلا بتحريره تماما من القيود :

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلي وأبد للقيد أن ينكسر[2]

فالحياة عنده هنا هي الحرية بدليل قوله في البيت الثاني : إن استجابة القدر لإرادة الشعب تعني زوار الليل، وهو يرمز به دونما شك إلى الإحتلال والإستعمار ولابد للقيود أيَا كان نوعها من أن تتكسر، فيغدو الشعب طليقا حرا، بعد أن كان أبناؤه يملؤون السجون.

1 أبي القاسم الشابي: ديوان ابي القاسم الشابي ورسائله، ص212، 213.
2 المصدر نفسه، ص 90.

وتعد الحرية عند الشابي طموحا تسعى النفوس إلى تحقيقه، وإرادة هي النفوس إذا كانت إرادة جماعية وحقيقية، لابد أن تذعن لها القوى الأخرى، ولابد من أن تتحقق[1].

فالشابي لم يقف عند الحدود الضيقة للحرية بأنها السلام والأمان، وبأن الشعوب يجب أن تدافع من أجلها، وأن المستعمر يجب أن يفهم بأن الحرية حق سيسترد يوما ما، ولكنه يبحث عن الحرية حقا، وهذه الحرية صميم الحياة فيقول في قصيدته "الأشواق التائهة" :

ياصميم الحياة ! إني وحيد مدلج تائه فأين شروقك ؟

ياصميم الحياة ! إني فؤاد ضائع ضامئ، فأين رحيقك ؟[2]

ولكنه وجدها أخيرًا، وجدها في قوة الشعب فالبقاء للأقوى والأحق، وأن الشعوب المسالمة هي مناقضة للحرية، ووجدها في إرادته للحياة، فيجب على الإنسان أن يكون قويا أمام الصعاب التي تواجهه.

فالحرية هي في أصل الوجود، إلا أنها تتردى وتفقد ذاتها بعد أن إسترقتها الضرورات الإجتماعية، وقد ألف الإنسان هذه العبودية ناسيا أصله القديم :

كذا صاغك الله ياابن الوجود، وألقتك في الكون هذهي الحياة

فمالك ترضى بذل القيود، وتنحني لمن كبلوك الجباه

وتسكن في النفس صوت الحياة القوي إذ ما تغنى صداه

وتطبق أجفانك النيران عن الفجر، والفجر عذب ضياه[3].

فالشاعر يحضُ الإنسان على إستعادة أصله، ويتساءل كيف يرضى بالعبودية، فالفكرة لا تسفر ولاتتجرد، بل تظل كاسية بالصورة أوبالكناية الحسية التي ترسم المعنى رسمًا، فهو يمثل حتمية الحرية إذ لايصرح بذلك تصريحًا ولايوهم به تلميحا بل يوغل فيه ويكثفه إذ

1 ابراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ط1، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2003، ص 215.

2 أبو القاسم الشابي : ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص 133.

3 المصدر نفسه، ص 188.

يقرنه بصوت الحياة المدوي في نفسه، للحرية صوت لايسمع لأنه شعور روحي في النفس[1].

بينَا فيما تقدم أن هموم الشابي لم تكن مادية بقدر ما هي روحية، وأنه رثى الحياة ونعى عليها إنعدام العدالة في أقدارها وشكا من رق النفس والحواس والداء ،الهرم والموت، فهو إذن من رواد الحرية في وجهها الوجودي، وفي وجهها الوطني إذ لاسعادة من دون حرية، بل إن الحرية هي السعادة[2].

إنها وطنية صادقة لاتخدم أغراضا طبقية ولاتسير في ركاب حزب، ولا توحيها مناسبة هزيلة ضئيلة، لاتخرج في سطحيتها وبرودها عن تعليق الصحف، إنها وطنية متمردة، وطنية الشاعر الذي وعى عن رسالته فأحس في أعماقه أنه مسؤول عن تبصير شعبه بمعاني الحياة الحرة الكريمة.

1 إيليا الحاوي : أبو القاسم الشابي شاعر الحياة والموت، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1972م، ص ص 137-138، (بتصرف).

2 المرجع نفسه، ص 135.

2/ دراسة فنية وجمالية لقصيدتي "النبي المجهول" و "إرادة الحياة" :

أ- موضوع "الثورة" في قصيدة "النبي المجهول" :

تتضح الثورة العارمة في نفس الشابي ويستبطئ وثبة الشعب، ودمدمة العاصفة في أسى مرير من شيخوخته الواهنة، التي استطابت واستلانت أن تعيش في صور الماضي وأخيلته، لتنسى الحاضر وقسوته، فلم يهب شاعر في الشرق العربي حياته لتقديس الحرية والثورة والهتاف بها والتغني بجلالها، كما وهب الشابي وصنع.

فقد عاش طول حياته، داعيا ورائدا وقائدا للطليعة المجاهدة يلهبها بألحانه، ويثيرها بأنغامه ويلقي إليها ما في قلبه من أعاصير هوج غضوب ثائرة على القيود والأغلال، إذا عدنا إلى المعنى المعجمي لكلمة "النبي" فإننا نجد في القاموس المحيط النبي أخذ من النبيء : المخبر عن الله تعالى[1].

والنبوة كعنصر من عناصر تصور الحداثة لدى الرومنسية العربية لها مكانها المميز، فالشاعر النبي يحتاج إليه الشعر العربي، لأنه يحتاج لمن يحادثنا عن هذا المفتقد من العواطف العنيفة التي تهز أسس الحياة هزًا، وعن هذا المعنى العميق العريق في النفس الإنسانية الذي يهز المشاعر ويؤجج نيران الحياة[2].

فعل النبوة وحدة واختياره هو المسعى الحقيقي نحو الاندماج في الحياة بقوتها ونشوتها وفضائلها، فلا غرابة إذن وأمام تلك المسؤولية أن تتحول مهمة الشابي من شاعر يخلق الصور والألفاظ إلى نبي يبعث روح الحياة والثورة في أبناء حياته إنسلاخا، إنها نبوة الشعر وثورته لخلاص المجتمع من إستبداد الاستعمار من أجل حرية الإنسان.

فلفظة النبي في ذاتها ثرية غاية الثراء بالمعاني الإنسانية والشابي يضطلع بعبئ النذير أو البشير، فينعت ذاته بالنبي، وجاءت كلمة "المجهول" أي المجهول وسط أبناء

---

1 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي : القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف نعيم العرقسوسي، ط8، باب الثاء، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2005، ص 177.

2 محمد بنيس : الشعر العربي الحديث بنياته وابدالاته، ط2، ج2، دار توبقال، الرباط، المغرب، 1990-1991، ص 130.

أمته والغريب بينهم لتخلق في تعانقها مع لفظة النبي ثراء القلق الوجودي من شاعر تعروه حالة من العواطف الإنسانية التي تجسد الإنفعالات المتدافعة في ديمومة عاطفية لاتعرف التلبث.

وقد جسد الشاعر وإحساساته وتصوراته في إيحاءات تعطي معنى الثورة والحرية، فالشاعر الثوري يرتبط بإبتكار المستقبل، فهذه القصيدة فريدة بظروفها فريدة بصنعها، تحمل سمة التجديد والإبتكار، وروعة الفن الخالق الموهوب، وتزدحم بطاقة فنية مبدعة لها خصائصها الكثيرة المنوعة من ثراء المعاني وحدة التصوير وعمق الشعور، كتبها الشابي يوم 21 كانون الثاني 1930م فيخاطب شعبه متمنيا لو أنه حطاب فيقطع بفأسه، أو السيل فيهد القبور، أو الريح فتقوض، أو شتاء فيجمد كل خريف، فشعبه حي يقضي الحياة برمس[1].

ويتهمه بأنه يكره النور ويقبع في ظلام، وقد تنكر لخمرته ومزق وروده وداسها وتوج رأسه بشوك الجبال... ويعلن إلتجاؤه إلى الغاب إنقطاعا وتوحدا عنه لينساه، فيتلوا على الطيور أناشيده لأنها أهل لها أكثر من شعبه[2].

وينصرف عن الخطاب المباشر ليذكر بأن هذا هو كلام شاعر يصدقه قومه وسخروا منه وعدوه ساحرًا كافرًا فهم جهلوا روحه وأغانيه، وهو النبي في مذهب الحياة والمجنون في إعتقادهم[3].

وفي المقطع الأخير يتحقق الحلم الجبراني الكبير في الحلولية التامة بين الإنسان والطبيعة...، وعاد إلى نقطة البداية، إلى أصله الروحي متحررا من الضرورات الإجتماعية، منهمرًا في أحضان الطبيعة التي هي هيكل السعادة والحرية[4].

1 أبو القاسم الشابي : الديوان، تحقيق ايميل أ.كبا، ط1، ج1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1997م، ص 51.
2 إيليا الحاوي : أبو القاسم الشابي، دط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1972م، ص 166.
3 أبو القاسم الشابي : المرجع السابق، ص 52.
4 إيليا الحاوي : المرجع السابق، ص ص 176-177.

تعتبر القصيدة صياغة شعرية في إطار إيحائي ألمت في تصور الطبيعة بأمشاج الفكر ولغة الوحي، ويمزج الشاعر مظاهر الطبيعة التي توحي بالثورة متمثلة في العواطف والرياح ،الشتاء والأعاصير فجعل بذلك من الطبيعة رمزا للفعل والإنفعال.

فالثورة ليست غاية في ذاتها بالنسبة للشابي، وهي ليست وسيلة لإجهاض الحقد والإباء بالثأر، وإنما هي واسطة للبقاء على إرادة الحياة، وهو إذ يثور لايؤيد لثورته بالغضب والخطابية والنرق، بل يشارك الطبيعة في عملها الدائم للحياة والتجدد، فالسيول لاتنهمر والريح لايعصف... فهي حركة لاطائل من دونها... بل إن هذه العناصر والمظاهر وسيلة الطبيعة للثورة على ذاتها[1].

القصيدة هذه مزاوجة في الأداء، بين الإنتماء الرومانطقي والخط الإيحائي وإستصفاء جديد لبعض الأساليب العربية من إحتفاء بالصورة، وإحتفاء بالتوقيع الخطابي جاذب الجماهير بالتأثير والإقناع[2].

فهذه هي القصيدة في خدمة الغرض القومي تاريخا لواقع وإيحاء إلى آخر.

1- تحليل القصيدة :

*** المقطع الأول : من البيت 01 إلى البيت 09.[3]**

لقد تمنى الشاعر أن تكون له كل أنواع القوى في هذه الدنيا، فتارة تمنى أن تكون قوة الخطاب وأخرى قوة طبيعية من أعاصيروعواصف ورياح وشتاء، وكل هذا لأنه يريد إما أن يعطيه ولو ذرة من الثورة التي تجول بداخله لكي يغير واقعه المر، وإلا فإنه سيحطمه ويقتلعه من جذوره لأنه غير جدير بالحياة فقد رضي بالإستكانة والعيش في الظلام بعيد عن الثورة والهواء وكل ما هو جميل.

1 إيليا الحاوي : أبو القاسم الشابي ، ص 164.

2 أبو القاسم الشابي : الديوان، ص 507.

3 أبو القاسم الشابي : ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص 117.

*** المقطع الثاني : من البيت 10 إلى البيت 15.[1]**

بعد أن سخط الشاعر على شعبه وتمنى له الهلاك والفناء، عاد إليه بشيء من الحنان عله يلبي له مطلبه الوحيد في هذه الدنيا، وهو حب الحياة الحرة الكريمة والذود عنها.

فبدأ يقدم له أكوابا مملوءة حبا للحياة والتعلق بها، كما أنه أهدى له باقة من ورود الأمل في الحياة الكريمة، لكن بما قابله هذا الشعب الكسول؟ لقد كسروا هذا الكأس وداسوا هذه الورود فألبسوه ثوب الحزن والشقاء للأبد.

*** المقطع الثالث : من البيت 16 إلى البيت 24.[2]**

لقد هدد هذا الشعب وتمنى له الموت فلم يتعظ، ثم عاد وسايسه فلم يلن، فلم يبق أمام هذا الشاعر الذي نفذ صبره سوى أن يبتعد عن هذا الشعب، وذهب إلى حيث يجد راحته ويجد من يسمعه ويحس به، ذهب إلى الطبيعة ففيها الطير والصنوبر والورود، ولقد وجد في الغاب مالم يجده بين أبناء وطنه.

*** المقطع الرابع : من البيت 25 إلى البيت 28.[3]**

رأينا في المقطع السابق أن الشابي رحل إلى الغاب عندما لم يجد من يفهمه ويتجاوب معه، لكنه رغم ذلك لم ينس شعبه فيعود ويخاطبه بلهجة قوية فيها رنين من الحزن والألم والسخط، فهو في هذه الأبيات كأنه يحاول أن يعزي نفسه في هذا الشعب فيتصور أحيانا طفلا لاعبا بالتراب، ولهذا لم يستطع أن يتبين لحقيقته وأحيانا أخرى فاقد الإرادة والعزيمة لأنه مكبل، ومقيد منذ أمد بعيد، ولهذا يجب أن يكون هناك من يأخذ بيد هذا القاصر (الطفل الصغير، فاقد الوعي)، إلى أن يرى النور.

---

1 أبو القاسم الشابي : ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ، ص 117.

2 المصدر نفسه، ص ص 117-118.

3 المصدر نفسه، ص 118.

*** المقطع الخامس : من البيت 29 إلى البيت 40.[1]**

حمل الشابي مشاكل وهموم شعبه وراح يناظل بقلمه ولسانه، لعله يسمو بهذا الشعب إلى ما يتمناه كل إنسان أبي في هذه الدنياعيشة حرة كريمة لكن هذا الشعب الجامد الناكر الجميل كافأ الشابي بأبشع صورة، إذ لم تكفهم أنهم كسروا كأس الحياة التي مدت لهم، وأنهم داسو ورود الأمل التي قدمت لهم، بل راحوا ينعتوه بكل الألقاب فتارة بالمجنون وأخرى بالساحر وأخيرا حكموا عليه حكما قاسيا لايستحقه، من وهب حياته لشعبه ووطنه نبذوه وطردوه، لقد طردوا ذلك النبي الذي لايساوي عندهم أي شيء، أهذه هي مكافأة من فنى نفسه في خدمة وطنه؟.

*** المقطع السادس : من البيت 41 إلى البيت 59.[2]**

وأخيرا وجد شاعرنا مهربا من بني ملته، مهربا من آلامه وأحزانه، مهربا ممن تحدث معهم فلم يسمعوه أو لم يريدوا سماعه، وناداهم فلم يجيبوه فإلى أين كان الهروب؟ لقد كان إلى الطبيعة التي وجد فيها كل جميل، فالطير حر يشدو بأنغامه وأغصان الصنوبر تتمايل كأنها تتراقص على تلك الأنغام والمياه العذبة تترقرق بين الجداول.

هذه هي الحياة التي تمنى أن يعيشها مع بني جنسه، حياة لاتدنسها النفوس الخبيثة، حياة فيها كل معاني الطهارة لأنها مليئة بشيئين لاغنى عنهما : الحب والحرية، وأخيرًا نقول إن قصيدة الشابي "النبي المجهول" هي ألفاظ صادقة وعاطفة متأججة وأسلوب رفيع، إن هذه القصيدة كانت بمثابة الهزة أراد بها أن يهز كل ماهو وضيع ،أن يحرك شيئا ما داخل كل تونسي وحتى داخل كل إنسان مضطهد هذا إسمه "أريد حريتي، أريد كرامتي".

إن الشهادة التي قدمها "تليسي" هي خير دليل على ما قلناه: قصيدة النبي المجهول هي نقطة إنطلاق في تحديد وطنية الشابي ذلك لأنها تحمل خطوطا عريضة واضحة تدل على مدى الإحساس بضرورة البعث والتطور.

---

1 أبو القاسم الشابي : ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله ، ص ص 118-119.

2 المصدر نفسه ، ص 119.

2- البنية المعجمية للقصيدة :

نجد أن البنية المعجمية عند الشابي في القصيدة بنية بسيطة واضحة تميل إلى العامية مثل لفظة "غبية" في قوله : "أنت روح غبية"، فهي لفظة متداولة ويسيرة ومثل هذه الألفاظ كثيرة فنجد لفظة "تكره"، ولفظة "مس"، و"جس" في قوله :

أنت لاتدرك الحقائق إن طافت حواليك دون مس وجس[1].

ولفظة "السحر" و "حفرة" و "لعب" في قوله : "أنت طفل صغير لاعب بالتراب"، كل هذه الألفاظ وغيرها نلتمس فيها البساطة والقرب الشديد إلى العامية وتجنب الألفاظ المعقدة، وبساطة البنية المعجمية في هذه القصيدة تعود إلى كونه يخاطب الشعب وهذا الشعب كما نعرف أكثريته ذو ثقافة محدودة أو عديمي الثقافة، وإختار البساطة ليكون بإستطاعة أي عامي أن يفهمها.

كما نلاحظ أن معجم الشابي يميل إلى لغة الطبيعة، وهذا لتعلقه بها من جهة فنحن كما نعلم لقب "بشاعر الطبيعة" ومن جهة أخرى الطبيعة هي أحسن شيء يمكنه أن يستشهد بها الشاعر، لأن الإنسان يعيش في الطبيعة ومعَها ومن بينها نجد :
الجذوع- السيول- الرياح- الزهور- الشتاء- الخريف- العواصف- الأعاصير- الورود- الجبال- الشوك- الغاب- الطيور... فحين نقول أن ألفاظه بسيطة هذا لايعني أن لغته كانت مذبذبة بل كانت لغته قوية وما أدى لذلك هو التصوير والتمثيل الذي يمزجه في ألفاظه : الفصول تمشي.

أما فيما يخص صياغة الألفاظ، فقد زادت في قوة القصيدة فتحس بها و تراها قبل أن تفهمها من بينها ألفاظ اللون وخاصة لفظتي النور والظلام، اللتين تعبران إما عن معناها الحقيقي في قوله : طالما رافق الظلام إلى الغاب، وقد تحمل معنى مجازي وهذا الأخير هو الذي يضفي على اللفظة الحيوية والقوة، ومثال ذلك "أنت روح غبية تكره

1 أبو القاسم الشابي : ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله ، ص 117.

النور" والتي عبر خلالها عن الحقيقة والحرية، فلألفاظه مليئة بمعاني تفاؤل والتمرد والثورة والتشاؤم وسنحصرها وفق جدول الحقول الدلالية :

التفاؤل	النشوة	التشاؤم	التمرد والثورة
– صباح الحياة – أزاهير قلبي – باقة – ورود – أدعوك للحياة – صبح جميل – ظلال الصنوبر – الربيع – نشيد – طيور الطراب – نشيد الطيور – التفاؤل – أريج الورود – أغاني الرعاة	– خمرة نفسي – رحيقي – أشواق نفسي – أناشيدي – رقة نفسي – رحيق الحياة – يمشي في نشوة – المتحسي – النشوة – يفني بين الصنوبر – يالها من عيشة	– ألبستني من الحزن ثوبا – بشوك الجبال توجت رأسي – تكره الموت – تقضي الدهور في ليل – لأقضي الحياة وحدي بيأسي – أدفن بؤسي – في ظلمة الليل – الليل – حفرة رمسي – تلغو على قبري – الأموات – بؤس – يأس الظلام – التشاؤم – فهو روح شريرة ذات نحس – عاش في شعبه الغبي	– إنني ذاهب إلى الغاب – أدفن بؤسي – ليتني كنت حطابا – ليتني كنت كالسيول – ليتني كنت كالرياح – ليتني كنت كالشتاء – ليت لي قوة العواصف – ليت قوة الأعاصير – الزيتون – يقضي الحياة – التمرد و الثورة

ومن خلال هذا الجدول نستشف أن البنية المعجمية لقصيدة الشابي بنية ثرية ومتنوعة ، ألفاظها مستمدة من الطبيعة فقد عبرت عن المعنى جيد التعبير.

3- أهم خصائص الأسلوبية في القصيدة :

- إذا نضرنا إلى أسلوب الشابي وجدناه متماسكا في البناء مما جعل كل جزء في هذه القصيدة يعتمد على الآخر، فيعذر علينا تفكيك القصيدة إلى أبيات مستقلة كل بيت بشكله ومعناه، كما نلاحظ توفر الوحدة الموضوعية والوحدة النفسية وهي وحدة الوجدان والانفعال، وهذا الإتصال الموجود بين وحدات القصيدة هو ناتج عن إتصال عاطفي.

- أسلوب الشابي يتنوع بين ثائر حين تكون آلامه فوق ما يتحمل كقوله :

أيها الشعب ! ليتني كنت حطابًا فأهوي على الجذوع بفأسي ![1]

وبين خطاب إذا خمدت ثورته قليلا كقوله : "أنت روح غبية"، "أنت طفل صغير".

- الإكثار من النعوت والظروف من أجل تأكيد غرض المعنى وتوضيحه لقارئه ومستمعيه فمن جهة الظروف نجد قوله : "ثم تحت الصنوبر الناظر الحلو" فهو يريد أن يبين المكان الذي تخط فيه السيول، وقوله : "ثم تحت الصنوبر الناظر الحلو"، فهو يريد أن يبين المكان الذي تخط فيه السيول، وقوله : "أو يغني بين الصنوبر" يبين المكان الذي يغني فيه الشاعر، وهناك أمثلة كثيرة.

أما من جهة النعوت فقد أكثر منها وهذا يضفي على القصيدة شيئا من الجمال ويستدرك ما لم يستطع أن يعبر عنه باللفظة الواحدة المباشرة ففي قوله : "روحا غبية"، فهو يبين طبيعة شعبه فنعته بأنه روح غبية وقوله :"ليل ملس"، وهو تأكيد على شدة الظلمة، وسنذكر النعوت الباقية بإيجاز : "فكرة عبقرية، الكافر الخبيث، روح شريرة، شعبه الغني، الصباح الجميل، الطيور الطراب... .

- الإسهاب في التكرار حيث نجده يكرر اللفظة أو العبارة أو الحرف، ففي تكرار الحروف نجد مثلا حرف العطف ثم : "ثم قدمتها إليك... ثم أسكت آلامي... ثم نضدت من أزاهير... ثم قدمتها إليك"، وقد يتخلى عن ثم ويعوضها بلفظة كقوله : أنت روح غبية... أنت لاتدرك الحقائق، طالما خاطب العواصف... طالما رافق الظلام.

---

1 أبو القاسم الشابي : ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص 117.

كما نجده قد كرر عبارة التي خاطب بها شعبه:"أنت في الكون قوة" وعندما لم ينفعل ولم ينفعه تكرار التمنيات ليزيل غشاوة الأمل من قلبه ، إتجه إلى تكرار النداءات عله يطفئ اللهيب الذي بداخله فيكرر عبارة : "يالها من معيشة" ولتقوية المعنى أكثر يقوم الشاعر بتوكيد هذا المعنى حيث يقوم بتكرار اللفظة مع توكيدها مثل : "رمسا برمس" في قوله :

ليتني كنت كالسيول، إذا ما سالت هد القبور : رمسا برمس ![1]

نستدرك ونقول أن تكرار الألفاظ والعبارات لم ينقص من جمال القصيدة شيئا سواءا من حيث المضمون أو الشكل ، بل زادها دقة وصدق عاطفة، إذ أن الشاعر لم يستخدم هذا التكرار إلا لضرورة في نفسه ويبدو أنه يريد بهذا أن يقول لشعبه : هاأنا أقول وأزيد لكي تفهم معنى ما أريد.

– الخيال : إن الشابي قد أخرجنا من قيد الحس والعقل إلى عالم السحر والخيال، فكانت منفذ لمن يعاني ضيق الواقعية وإختناقها، إن نفس الشاعر التي تفيض بدافق الإحساس وزافر المشاعر فتتصادم مع حزنه وآلامه فتعزف على قيتارة الخيال أروع الألوان وأسمى الأغاني.

ولعل وجود هذه الخيالات والأحلام أدى إلى وجود نغم جديد يطرب له الفؤاد فمثلا قوله : "تداعبه الريح ، الطيور تلغو"، تجعل قارئها يغوص داخل ألفاظها، فنقول : ليس النغم الداخلي هو الوحيد الذي يعطي القصيدة موسيقاها وجمالها ولا النغم الخارجي ولاحتى الذي يرسله الخيال، بل الذي يضفي على القصيدة هالة من الجمال والموسيقى في إجتماع كل هذه الأنغام سواءًا أكانت داخلية أم خارجية أم خيالية.

4– الصورة الشعرية :

من المعروف أن الشابي كان ذو نزعة رومنسية في كتابة الشعر، فهو بذلك يتجاوب مع زملائه من شعراء أبولو في صورهم وأساليبهم، لذلك إرتأينا في دراسة الصورة

1 أبو القاسم الشابي : أبي القاسم الشابي ورسائله، ص 117.

إلى دراسة رومانسية تعتمد على فاعلية الخيال والإيحاء، وقبل ذلك نحاول أن نقدم ولو إشارات طفيفة للصورة الشعرية.

الصورة ليست شيئا جديدًا، فالشعر قائم على الصورة منذ أن وجد وحتى اليوم، لكن استخدامها يختلف بين شاعر وآخر[1]، فالصورة في اللغة : قال إبن سيدة: الصورة تعني الشكل، وصورة حسنه : تصورت الشيء: توهمت صورته، فتصور لي، والصورة : حقيقة الشيء وهيئته وصفته[2]، إذن فالصورة هي الشكل الذي تتشكل فيه المعاني.

وقد ذهب إبراهيم ناجي إلى معنى آخر في الصورة حيث ذكر أن الشعر يجب أن يكون أسلوبه معبرًا بالصورة، أي يرسم الأسلوب مواقف الشاعر وأفكاره وتجاربه وإنفعالاته، رسمًا معبرًا قويًا واضحًا، بحيث تصبح فكرة الشاعر مصورة في صورة حقيقية تزخر بالعاطفة والتجربة والإنفعال، لامجرد تصوير عادي ميت، وتصبح وكأنك أمام مناظر تصوير متحركة مؤثرة[3].

أما التجربة الشعرية فيرى محمد غنيمي هلال أن الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيرا ينم عن عميق شعوره وإحساسه، فحين يتأثر بعامل معين يستجيب له، أولهما إستجابة إنفعالية قد يكتنفها التفكير وقد لا يكتنفها، فالعمل الأدبي هو تعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية.

والآن نخرج من التعميم في الحديث عن الصورة إلى التخصيص في الحديث عنها عند الشابي، فالصورة الرومانسية صافية لأن الإنفعال والخيال إستقلا فيها، وفسر العالم بيقين المشاعر المرتسمة على حدقة سحيقة نائية، في الحياة التي تخلع أسمال الأسى ظل الواقع ينعكس في حدقة النفس[4].

1 إحسان عباس : فن الشعر، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1955، ص 230.

2 ينظر ابن منظور : لسان العرب، ج36، ص 2523.

3 عبد المنعم خفاجي : النقد الأدبي الحديث ومذاهبه، دط، دار العودة، لبنان، 1973، ص 46.

4 ايليا الحاوي : أبو القاسم الشابي شاعر الحياة والموت، ص 114.

وتنتقل القصيدة عند الشابي من التعبير بالألفاظ والجمل إلى التعبير بصورة شعرية، فإذا إنتقلنا من هذا العرض النظري بشيء من التطبيق، نستدرج بعضا من الصور الشعرية، وهي على سبيل المثال لاحصر لها، منها : "وتظل الفصول تمشي حوالي" فالصورة هنا بصرية حسية تعد إنزياحا بلاغيا حيث جعل للفصول أرجلا تتحرك وتمشي بواسطتها.

وفي سبيل إغناء الصورة وإثرائها نجده يلجأ إلى توظيف التشبيه لتصوير الجزئيات والوصول إلى رسم صورة كلية نابضة إيحائية، وقد ورد الكثير منه وأول ما نلحظه أدوات الربط المستعملة أي (أداة التشبيه)، فنجده إستعمل "الكاف" ثلاث مرات و "مثل" مرتين، فقد إستعمل الصيغة نفسها والتي هي "مثل" وصيغة "مثلي"، أما "كما" فقد استعملها مرة واحدة، كما أنه قد يستغني عن أداة الربط وهذا ما جاء في قوله عندما سامو الناس شعوره بالبخس :

جهل الناس روحه، وأغانيها فساموا شعوره سوم بخيس[1].

وبهذا نقول بأن الشابي يميل إلى إستعمال الكاف أكثر في تشبيهاته ونحن نعلم بأن الكاف تستعمل عادة لتقريب الصورة من ذهن المتلقي، وهذا ما كان يسمو إليه الشاعر، فهو يحاول دائما أن يبسط صورة لكي يفهم شعبه، فقد كان توظيفه للعناصر البلاغية في الصورة توظيفا إيحائيا يتجاوز الرؤية البلاغية القديمة بفعل عمل الخيال المطلق.

الصورة لاتتوقف عند لحظة بعينها، بل هي حركة دائمة التجدد بإستمرار، لترسم مسارات متعددة، تعتمد أساسا على الفعل الذي تجاوز دوره العادي إلى دور أكثر دلالة، الفعل الذي يلعب دورا أساسيا في بناء الصورة، ومن هنا توسم الحركة الكبرى بصورة منفعلة يائسة أو حاملة هادئة تتماشى مع الجو النبوي الذي توحي به القصيدة، والشابي يعتمد على تحريك مجموعة من الأسماء والأفعال في دلالتها وعلاقتها ببعضها.

1 أبو القاسم الشابي : ديوان أبي القاسم الشابي ورسائلة، ص 119.

ثم تتحرك الجملة الإسمية : "في الصباح أنت روح، أنت حي، في مذهب الطيور، بشوك، في ظلمة، في حساسيتي..."، التي تدل على الثبات لتنظم إلى الفعلية التي تدل على الحركة بحكم إقترانها بالزمن المتحرك، وقد أكثر في الصور إبتداءًا من الأفعال الماضية، والمضارعة والأمر.

عندما يستعمل الماضي "جهل، قال، سار، ناول، ناجى، نادى..."، فهو يتذكر المأساة ويعيشها بكل أحاسيسه، والأمر في قوله :"أطردوه، فابعدوا"، ولم يلجأ إلى الفعل المضارع "يحيا، يضله، يقضي، يشدو، يمشي، تداعبه، يرنو، يغني..."، إلا حين أراد أن يشخص الموقف، ويجعلنا نحس بأنه يريد أن يقدم صورة تتحرك وكونه مضارعا لأنه مائل وواقع في وجدان الشابي يحس به كل آن، فهو مضارع مستمر بإستمرار الأمل في الثورة والتحول.

وهنا نجد التجربة مجسدة أبدعت من ذاتها صور الحزن الذي يرى جسده، وقد أكثر الشابي من إستعمال هذه الصور في القصيدة، لكن دقة التصوير تستدعي هذا الحشد من الصور، فالصورة بمجازاتها وإستعاراتها نابضة بالروح والحياة، بالخيالات والعاطفة، فالشابي نقل لنا أحاسيسه وإرتعاشته وومضاته، صورا إيحائية في مشهد طبيعي متكامل الإيحاءات.

5- الموسيقى :

يقال أن : "الشعر موسيقى ذات أفكار"، ولعل هذا القول يبرز أن الموسيقى هي العنصر الأساسي في الشعروالذي يميزه عن بقية فنون القول، فلا يوجد شعر بدون موسيقى تؤثر في أعصاب السامعين.

ويرى محمد علي سلطاني : "أن قوام الشعر عنصر الموسيقى، فإذا خلا الشعر من الموسيقى أوضعفت فيه إيقاعاتها، خف تأثيره واقترب في مرتبته من النثر[1]، فالموسيقى حد الشعر وسمته البارزة يستخدمها الشاعر ليناسب بينها وبين المواقف

1 محمد عي سلطاني : العروض وموسيقى الشعر العربي، دط، المطبعة الجديدة، دمشق، 1981-1982، ص 06.

المصورة، ويلائم بين الإيقاع والحالات النفسية فليس الشعر في الحقيقة إلا كلاما موسيقيا تنفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر به القلوب.

فالشعر العربي كان منذ القديم مصاغا في كلام ذي توقيع موسيقي، وحدة في النظم تشد من أزر المعنى وتجعله ينفذ إلى قلوب سامعيه، وتلك الصياغة الموسيقية تمثلت في بحور الشعر العربي وقوافيه التي وصلت إلينا ناضجة، وهذا ما يساعدنا على تباين الأسس الموسيقية لتلك البحور، ويجدر بنا في البداية أن نفرق بين الوزن والإيقاع، فالإيقاع يقصد به وحدة النغمة التي تتكرر على نحو ما في الكلام أو البيت.

أما الوزن فهو مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت، فمبدأ الوزن في الشعر أصيل لايمكن التخلي عنه، وهناك صلة متينة بين الشعر والوزن وآية ذلك أن العربي حين يسمع لفظة شعر يعرف مباشرة أن المراد به هو الكلام الموزون المقفى فاقافية في الشعر العربي ذات سلطان تفوق ما لنظائرها في اللغات الأخرى، من حيث ناحيتها الدلالية والموسيقية معا.

وتعد القافية أيضا جانبا مهما في الشعر العربي، فهي بالإضافة إلى أنها تنظم إيقاع الشعر، فإنها تساهم في نقل رواسب الشعور ولطائف المعنى[1]، وهي الحروف التي تبدأ بمتحرك قبل أول ساكنين في آخر البيت الشعري.

وليست الموسيقى الخارجية المتمثلة في البحر هي كل شيء، بل هناك أيضا الموسيقى الداخلية المتمثلة في إختيار الألفاظ وتجاور حروفها وإنسجامها في غير نفور، وتبتدى كذلك في حسن مجاورة الألفاظ في التركيب الواحد، ثم أن تكون تلك الحروف والألفاظ ملائمة للمعنى الذي توحي له، فالموسيقى الداخلية كشكل موسيقى أقدر على الاتصال بالأحاسيس الداخلية والإنفعالات النفسية[2].

وبعد هذه التوطئة سنحاول دراسة موسيقى القصيدة، ونحط الرحال عند الشابي، وقد تبين أنها من البحر الخفيف كما هو موضح في التقطيع :

1 محمد علي سلطاني : العروض وموسيقى الشعر العربي، ص 16.

2 سعيد الورقي : لغة الشعر العربي الحديث، ط3، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1984، ص 215.

وتظلُّ الطُّيور تلغو على قب ري ويشدو النَّسيم فوقي يهمس [1]

0I0II0I/ 0II0II/ 0I 0II0I 0I0II0 I/0II0II/ 0I0III

فعلاتن /متفعلن /فاعلاتن فاعلاتن/متفعلن/فاعلاتن

والبحر الخفيف مفتاحه : ياخفيف خفت بك الحركات فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن، فهو يبرز الحزن والأسى والتوتر كما يميل إلى الفخامة، فهو وزن خافت الجرس في طبيعة إيقاعه، يهمس همسا، ويندلج موجة تلو موجة لذلك جاء خفيف يتفق مع حالات الحزن الرفيع الذي يخيم على جو القصيدة.

أما عن القافية فتجمع الياء والسين، فتبدأ الياء عند إهتزاز الوتران الصوتيان وكأنها تجسم حالات الصراخ والدعاء المتجدد لثورة حال النطق بها.

فالتنوع في القافية بين ياء وسين يتوافق مع الحالات النفسية للشاعر، فإذا نظرت إليه مثلا في القوافي التالية :

"بفأسي، بنحسي، برمس، وجس، دوس، يأس، بؤسي، نفسي، حس، رمسي...".

فتحس من خلالها بمدى الأنين والألم والأسى المتكرر في القافية، فهي توحي بما لا يستطيع اللفظ حمله، ومن هنا جاءت أهمية القافية فعلا في نقل أحاسيس الشاعر.

فالشابي يعاني من الضياع والإحساس بالكآبة وإلى جانب هذا يحس إحساسا هائلا باليأس والجمود، ولهذا كانت موسيقى القافية مترددة خافتة، تحتاج في نطقها إلى قوة من إخراج النفس أعظم من التي يتطلبها نطق المجهور[2].

ثم وردت حركة القافية – الكسرة – ولايخفى مالحركة الكسرة من خاصية الإمتداد والشعور بالإنخفاض نحو الأسفل ينبؤ بمدى إنكسار نفسية الشاعر وإضمحلاله بشقاوة، والكسر يتفق مع حالات الإنكسار في الدعوة، وما نريد أن نؤكد هنا هو أن هناك توافقا بين القافية وحركتها وبين الموضوع.

1 أبو القاسم الشابي : ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص 118.

2 سعيد الورقي : لغة الشعر العربي الحديث، ص 216.

أما إذا أعرجنا عن الموسيقى الداخلية، نجد الشابي قد تمكن من إنتقاء الألفاظ المنسجمة والمتلائمة، فعبر وقت الإضطراب "أهوي، بفأسي، قوة العواطف، ثورة نفسي..."، ووقت الحزن "ألبستني من الحزن، بأسي، في ظلمة الليل..."، ووقت السكون "ليحيا حياة شعر، في معبد الغاب، ثم أنساك، أسكتي آلامي...".

كما عمد إلى تكرار حروف معنية من شأنها بعث دلالة خاصة كالسين، والملاحظ أنها تقف عند حد القافية، بل دارت في الأبيات بطريقة تلقائية "سدفة، مرسل، حرسا، سار، سوم، شمس، حساسيتي، السيول..." فما يعطيه هذا الحرف بصفة خاصة يتفق وتلك الحالات.

فتكرار حرف الراء بمعدل يثير الإنتباه مثلا في "القبور، رمسا، برمس، الزهور، الخريف، بقرص، ثورة..."، وبما أن الراء حين ينطق به يحدثنا طرقا لينا مرتين، أو ثلاثا[1]، إهتدى إليه الشاعر ليهجر بحزنه وليعطي رعشه مكررة لقرائه، فالتكرار لايكون إلاَّ لشيء مهم كالثورة.

أما حرف القاف الذي يتكرر في كلمة "يقضي، أقضي، يقضي..."، إيحاء بالإنقطاع وإنقضاء أجل إنها نهاية حياة ذلك الشاعر، فتكرار الحرف يبين هول الذل والإحتقار الذي يعيشه شعبه، كما تكسوه القلقلة عند صدوره ساكنا بقوة ضغط في مخرجه، والقلقلة توحي بحالة الإضطراب والقلق والغضب وإخراج ذلك الذي يتمه الإنفجار.

وفي صوت الغنة "النون" الحزن الداخليث العميق والدموع والأنين، نلحظه مثلا في "يخنق، بنحسي، دون، أنس الحزن، أدفن..."، والنون شبه الحركة في قوة الوضوح السمعي، فهي ليست مجرد صوت، بل من خلالها يمكن الحدس بمضمون القصيدة، وما نريد تأكيده هو أن موضوع التحسر و الأسى الذي يركز عليه الشاعر يحتاج تماما إلى هذا الحرف، الذي خَلق نوعا من الموسيقى الحزينة، المعادلة لمشاعر القصيدة.

1 عبده بدوي : دراسات في النص الشعري (العصر الحديث)، دط، دار قباء، القاهرة، 1997، ص 132.

كما جاءت "الميم" مؤدية للغرض المطلوب، وأنت تشعر عند نطقها أنك تكتم شيء في فمك كاد ينفجر، كذلك كان حال الشاعر، فإنحباس الهواء يكاد يشبه إنحباس الحياة والأمل في الثورة والتغيير في نفس الشابي وفكره "صمت، معبد، مصب، منبع...".

وحرف "الفاء" هنا "فأهوي، بفأسي، فألقى، فأدعوك، طافت، فتألمت..."، يتفق والدافع وراء هذه القصيدة لأن النطق بها يسبب تذبذب في الأوتار الصوتية[1]، وهي بصفة خاصة حالة فيها الكثير من الضيق والحيرة والمحاصرة، فكأنها من واقع نفسيته.

بالإضافة إلى حرف "الكاف" الذي يدل على الإنحباس والإنتهاء والقطع مثلا "هناك كفكفت، أسكت، الكون، منكبيه، كوخه..."، أما "الدال" فهي من الحروف التي تعبر عن شعور العاشق، عاشق الثورة والحرية الذي صار على هيئة الدال من شدة الحزن "الدهور، تدرك، دست، نضدت، دستها...".

إذا كان الشابي يقول الشعر ليبعث روح الأمل والإستمرار والبقاء في شعبه، فمن الطبيعي هنا أنه يعتمد على حركة المخرج وعلى الصفة، وعلى الشدة والجهر و الهمس.

كما لايفوتنا أن ننوه بدور حروف المد الموسيقي والدلالي، فقد كان الوجه الآخر الذي يوصل المعاناة والأناة، وللتعبير عن عمق المعاناة لم تكفه حروف البتر و الإنتهاء لإيصال مايريد فإستعمل حروف المد "ليتني، أخشى، قدمتها، كبلتها...".

فالمد بالإضافة إلى النغمة المطولة توحي بدلالة الشكوى والأنين، والغزارة الموسيقية والإحساس بالبعد والفقد.

كما نلاحظ كثرة التنوين في القصيدة، وهو مالا يخفى دوره الدلالي مثلا "حطابا، ثوبا، رمسا، حرسا، مقيما،..."، ومن ذلك يتبين لنا أن الصوت الموسيقي ليس لحنا خارجيا بقدر ماهو عضو متفاعل، وعنصر ملتحم مع بقية عناصر النص الشعري، فالشاعر يحقق الملائمة بين معانيه وموسيقاه، أو بين الجو النفسي وهذه الموسيقى.

1 عبده بدوي : دراسات في النص الشعري، ص 270.

ب- موضوع الحرية في قصيدة "إرادة الحياة" :

الشابي في هذا الكون لايرتاح إلى القيود ولايرغب في الأصفاء، وتأبى نفسه الضيم وتنكر روحه الذلة والمهانة، يريد أن يعيش حرا كما ولدته أمه حرا، وقد شاهد ما يكابده وطنه من كفاح مرير، ونظال شديد في سبيل الحرية، فنجد قلمه من أجل هذه الغاية[1].

تنطوي القصيدة على موضوع واحد متطور منذ البداية حتى النهاية، عبْر هالة من المشاعر العميقة البصيرة، وخلاصته أن أبناء الحرية لايعدمونها بل إنها تقبل عليهم وتعتقهم وتعيد إليهم كرامتهم كما يعيد الربيع الحياة للبذور، ومهما تلبدت ظلمة الهوان والعبودية فإن حنين الشعب إلى الحرية وصموده لها يخرجانه إلى رحابها ونعيمها.

1- البنية المعجمية للقصيدة :

كأغلب قصائد الشابي كانت القصيدة "إرادة الحياة" قصيدة ثرية بالبنى، لكونها تنطوي في مضمونها على موضوع هام وهو الحرية كما أسلفنا الذكر ومن أبرز هذه البنى:

أ- بنية الطموح :

وكانت هي البنية الأبرز وتتجلى في ألفاظ وردت في القصيدة، دلت عليها : "يستجيب، أراد، ينكسر، ينجلي، الطموح، صعود، أحلام،..."، وقد وظفها في قوله :

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلـي ولابد للقيد أن ينكسر[2]

فالشاعر هنا يعلن أن مصير الإنسان بيده إذ عزم صمد، فإن الحياة تخضع له وتأتيه، فالشعب المستعبد المهزوم، تكون عبوديته وهزيمته بنفسه ومدى صمودها، وهو لاينتصر بالسلاح ولايزعج المستعمر بالعنف الطائش بل بالإرادة والرفض.

وقوله :

1 جمال الدين الرماوي : أعلام الأدب المعاصر، دط، دار الفكر العربي، ص 269.

2 أبو القاسم الشابي : ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص 90.

ومن لايحب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر[1]

قصد به الشاعر أن النجاح لايتم إلا بالمغامرة أو يبقى المرء أبد الدهر مرميا على حضيض الذل والهوان.

كما نجد بنية الطموح في الأبيات التالية :

وقالت لي الأرض –لما سألت: أيا أُم هل تكرهين البشر؟»:

"أبارك في الناس أهل الطموح ومن يستلذُّ ركوب الخطر»[2]

يستنطق الشاعر الأرض عما تضمره وما تعلمه للناس فإذا هي أيضا لا تؤثر على أبناءها إلا ذوي الطموح الذين لايستسلمون.

ب- بنية الاحتقار :

وتجسدت في ألفاظ هي : "ألعن، يحتقر، ميت الطيور، ميت الزهر،..."، الواردة في الأبيات :

وألْعنُ من لا يماشي الزمانَ ويقنع بالعيْشِ عيشِ الحجَرْ

هو الكونُ حيٌّ، يحبُّ الحياة ويحتقر المَيْتَ، مهما كبُرْ

فلا الأفْق يحضن ميْتَ الطيورِ ولا النحلُ يلثم ميْتَ الزهرْ

ولولا أمُومةُ قلبِي الرّؤوم لَمَا ضمّتِ الميْتَ تلك الحُفَرْ[3]

فالخاملون ليسوا أبناء الحياة وهي لا تباركهم، بل تلعهم لأنها لا تحقق ذاتها ولاتبلغ غايتها إلا بذوي الطموح الذين يحققون ما أعدته الطبيعية لهم ما بذرته في نفوسهم من بذور القدرة والتقدم والحضارة.

فالحياة لاتقف ولاتتجمد أو تستحيل إلى عدم، فقد قدر الله للإنسان قدرة على التغيير لينتقل من النقص إلى الكمال، ومن شرط العجز والعياء إلى القوة والتفوق، فالحظة التي تمر تحصل معها إمكانية التطور، فإذا مر الزمان ولم يماشه الإنسان تقع

1 أبو القاسم الشابي : ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص 90.

2 المصدر نفسه، ص 91.

3 المصدر نفسه، ص 91.

عليه لعنة الحياة، يصاب بالتخلف والذل، ولايقيم على ذروتها أو روضتها، بل في قاع حضرتها، فالكون جميعا حي يحب الحياة ويقدم له خبراته، وينبذ الأموات ولايحفل بهم، فالميت لامقر له في العالم يتآكل بذاته ويزول، ويستمد الشابي للتدليل على ذلك أمثلة من الطبيعة، فالطير تحلق في الفضاء وتنعم به مادامت حية، قادرة على الكفاح فإذا توقف جناحها تسقط وتزول.

وكذلك النحل فإنه يقبل إلى الزهرة الحية النظرة من دون الذابلة، فسنة الكون قائمة على التعاطي والتبادل بين الأحياء، ومن لايعطي يجف وينضب وييبس، وتكاد الأرض تأبى الأموات في أحشائها لولا رحمتها وحنانها.

جـ- بنية الحيرة :

وقد ظهرت هذه البنية في قول الشاعر :

سألتُ الدُّجى: هل تُعيد الحياةُ لما أذبلته، ربيعَ العمرْ؟

فلم تتكلّم شفاه الظلام ولم تترنَّمْ عذارى السَّحَرْ[1]

ويتحرى الشاعر في الليل ويستطلعه ويستنطقه، إذ الليل هو رمز لإختلاف الزمن وتطوره والزمن هو ذلك الرحم العجيب الذي يولد الحياة والموت في لحظة واحدة، والشابي إذ يُساءل الليل ومن خلال الزمن، إنما يبتغي من ذلك أن يعبر عن الحيرة واليأس من دوامة الأشياء ومن الهرم الذي يصيب ويعتري كل شيء، فهو لم يعثر على جواب لحيرته في الليل، لأنه لاينطوي على قدرة الإيحاء بذاته، إذ يغشى الأشياء وينحصر عنها، لكنه لايجعل جذور الحياة بذاته.

د- بنية التحدي :

ودمدمتِ الرِّيحُ بين الفِجاج و فوق الجبال وتحت الشجرْ:*

إذا ما طمحتُ إلى غايةٍ ركبتُ المُنى, ونسِيت الحذرْ

1 أبو القاسم الشابي : ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص 91.

*دمدمت =غضبت ،كبة =الحملة و الدفعة

ولـم أتجنَّب وعـورَ الشِّعاب ولا كُبَّـةَ اللّهَـب المسـتعرْ[1]

وتحدثت الريح بدمدمتها في الأودية السحيقة وفي أعلى الجبال وتحت الشجر أي أنها تتلو صوتا واحدا وتؤدي نغما متشابها بها، حيثما عصفت.

فمن يطمح لتحقيق غاية لا بد له من المغامرة وخلع جذور التقية، فالريح تجتاز الشعاب الوعرة ولاتخشاها أو ترتد عنها، كما أنها لاتهاب أذى الحر المستعمر، المحموم فلا عائق يعيقها عن غايتها، فمن لايجازف ويكافح ليسلق العلى، يقع في حضيض الذل، وقد بين أن الريح لاتحدث بشيء من ذلك وأن الشاعر يتحدث عنها بما ترمز إليه وتوحي به، وربما أصغى إلى عزيف الريح وعويلها وعصفها بعزم لايلين ولايقهر، فتمثل بها الإرادة والعزيمة والإقدام وما يطأ الصعاب، تصده فيلح حتى يتجاوزها.

هـ- بنية الفناء :

والألفاظ التي دلت على هذه البنية : "الشتاء، ينطفئ، تهوي، يدفنها، يفي، إندثر، ذكرى، أشباح، تلاشت...".

وقد وضفها في :

يجـئ الشـتاءُ، شتاء الضباب شتاء الثلوج، شتاء المطرْ
فينطفـئُ السِّحرُ، سحرُ الغصونِ وسـحرُ الزهورِ، وسحرُ الثمرْ
وسـحرُ المساءِ، الشجيُّ، الوديعُ وسـحرُ المروجِ، الشهيُّ، العطِرْ
وتهـوِي الغصـونُ، وأوراقُها وأزهارُ عهد حبيبٍ نضِرْ
وتلهـو بها الريحُ في كل وادٍ ويدفنُهَا السيلُ، أنَّى عبرْ
ويفنـى الجميعُ كحُلْمٍ بديعٍ تـألّق فـي مهجـةٍ وإندثرْ
وتبقـى البذورُ، التـي حُمِّلَتْ ذخيرةَ عُمْرٍ جميلٍ، غَبَرْ
وذكرى فصولٍ، ورؤيا حياةٍ وأشباحَ دنيا، تلاشتْ زُمَرْ[2]

1 أبو القاسم الشابي : ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص 90.

2 المصدر نفسه، ص ص 91-92.

يخاطب الشاعر الغاب لإستجلاء لغز الشباب والحياة والموت فيه، فالضباب يفد مع الشتاء وكذلك الأمطار والثلوج، وقد أوجز الإشارة إلى الشتاء برموزه الثلاثة الشائعة، لم يصفها بوصف، بل أوردها إيرادا، ويخلص إلى أن الشتاء يعري الغصون من زهورها وأوراقها وثمارها ومن ردائها الساحر الجميل، فتحيا كالحلم الجميل الذي تستيقظ منه على قسوة الواقع وفشله.

وبإمكاننا تلخيص كل ما سبق في جدول للحقول الدلالية .

بنية الطموح	بنية الاحتقار	بنية الحيرة	بنية التحدي	بنية الفناء
– يستجيب – أراد – الأفق – ينكسر – أحلام – ينجلي – الطموح – صعود – دماء الشباب	– ألعن – يحتقر – ميت الطيور – ميت الزهور	– سألت الدجى – لم تتكلم – لم تترحم	– طمحت إلى غاية – ركبت المنى – نسيت الحذر – لم أتجنب وعور الشعاب – اللهب المستعمر	– الشتاء – ينطفي – تهوي – يدفنها – يفنى – إندثر – ذكرى – رؤيا – أشباح – تلاشت

من خلال الجدول يتضح لنا أن بنية الطموح كما أسفلنا الذكر هي الغالبة في القصيدة كون هذه الأخيرة تحتوي مضمون هو الحرية التي هي مطمح الشاعر، حيث جاءت بنية الحيرة قليلة لكونه يرى الحرية شيئا لابد منه، ولايستدعي ذلك الحيرة منه والتساؤل، أما بقية البنى فقد وردت بنسب متقاربة.

2- أهم الخصائص الأسلوبية :

أ- التكرار :

كثرة حروف العطف : الواو وقد أكثر في ترسلها بقولها :

بين الجبال وبين الفجاج وتحت الشجر – عزف الرياح وقصف الرعود ووقع المطر و ذكرى الفصول ورؤيا غيوم وأشباح دنيا – تحت الثلوج وتحت الضباب وتحت المدر – تنمو صروف وتذوى صروف أخرى وتحيا أخر

وقد يستعيض عن الواو بتكرار اللفظة ذاتها :

– شتاء الضباب، شتاء الثلوج، شتاء المطر، سحر الغصون، سحر الثمار، سحر الزهر.

– لابد أن يستجيب الفكر، لابد لليل أن ينجلي، لابد للقيد أن ينكسر

وقد يعاب على أبو القاسم الشابي أنه أكثر من التكرار رغم جمال شعره إلا أنا الإكثار من حروف العطف يخل برونق القصيدة.

ب- البنية المعجمية :

تنزع اللفظة في هذه القصيدة منتزعا تقريريا مثل قوله : "فلا بد أن يستجيب القدر" ولفظة "يستجيب" هي لفظة مباشرة تميل قليلا إلى النثرية الجافة ومثلها لفظة "يحب" في قوله "من لايحب صعود الجبال" فهي لفظة دانية، قريبة المتناول، مائلة إلى العامية في سير تداولها ونقع على مثل ذلك في قوله : "ومن يستلذ ركوب الخطر" فلفظة "إستلذ" فاقدة الفصاحة في صيغتها ودلالتها، وأحيانا إستعمل الجمل النثرية، ويبدو أن الشابي قد إستعمل العامية ربما لأنها موجهة للشعب أي طبقة غير متعلمة ولكن من الواجب أن يستعمل ألفاظ قوية بإعتباره شاعر موهوب ولكن وإن لم تتسم بعض عباراته بجلالة اللفظة العربية المجلجلة، فإنها تقوم في مقامها وتؤدي المعنى، وقد تمتاز أحيانا بالتصوير والتمثيل مثل : تبخر في جوها واندثر – دمدمت الريح.

ج- التركيب النحوي :

* النعوت والظروف توسلها لإستيفاء غرض المعنى وتوضيحه أو الغلو فيه مثال ذلك :

-بين الفجاج وفوق الجبال وتحت الشجر – روحها المستمرة – حيث الطيور – الكون حي – عمر جميل – موشحة برداء السحر – قلبي الرؤوم – عيش الحجر – اللهب المستعر...

* كثرة الإضافة والإضافة هي صنو النعت في إستكمال بعض جوانب المعنى وتحديده وتأكيده، وربما أسرف بها حينًا، دون أن يحفل بما يصيب العبارة من ذلك ثقل وتباطؤ، مثال ذلك :

– شوق الحياة – عور الشعاب – كبة اللهب – صعود الجبال – عزف الرياح – قصف الرعود ووقع المطر – أهل الطموح – ركوب الخطر – عيش الحجر – ميت الزهر – ميتت الطيور...

* غلبة الجمل الفعلية على الإسمية :

– الجمل الإسمية : هو الكون الحي – إليك الفضاء – إليك الجمال الذي لا يبيد

– الجمل الفعلية : دمدمت الريح – أبارك في الناس أهل الطموح – يجيء الشتاء – تلهو بها الريح – ظعنت آلة نغماتي الطيور...

وبعد التتبع والإحصاء لكلا النوعين في القصيدة نلاحظ غلبةالجملة الفعلية على الإسمية بشكل واضح وجلي، ذلك لكون الجملة الفعلية تؤدي عند الشاعر دلالة خاصة هي الدعوة إلى الحياة والحركة والثورة، وذلك لايكون إلا بالفعل وليس مجرد رفع شعارات وأقوال فكانت الجملة الفعلية الأنسب للتعبير عن ذلك.

د – التركيب البلاغي : * الإستعارة :تتولد الإستعارة في الشعر الرومنسي فيما يحاول شعراؤه تخطي الواقع وتجاوزه وإحياء ما لاحياة فيه، والشابي قد يلم بالإستعارة وقد يحولها إلى مظاهر التشخيص والإيحاء ولكنه لا يسرف فيها بالإنفعال والابتذال[1]، مثال ذلك :

1 إيليا الحاوي : أبو القاسم الشابي شاعر الحياة والموت، ص 101.

– ومن لم يعانقه شوق الحياة : فقد جسد الشوق ونمى إليه خاصية المعانقة المأثورة في الأحياء.

– تبخر في جوها : وهذا القول يقوم على المقارنة بين الأحياء والماء ونسبة ما للثاني إلى الأول للتدليل على التوازي وسرعة الزوال.

* التشبيه : إستعاض عنه بالإستعارة التي توجد بين طرفين بالرؤية النفسية وفي إطار الخيال ولم نكد نقع عليه إلا فيما يلي :

– وقال لي الغاب في رقة محبّبة مثل خفق الوتر.[1]

والتشبيه هنا نفسي إذ ماثل فيه بين الرقة والنغم الذي يفيض عن خفقات الوتر، وقد تخلل القصيدة بعض الوصف مثال ذلك :

– وأطرقت أصغي لعزف الرياح وقصف الرعود ووقع المطر، والوصف يغلب عامة على المقطع الأخير من القصيدة.

* الكناية : نلتبس إضافة إلى الإستعارة وظاهرة التشخيص الكنايات ومثال ذلك :

–ومن لايحب صعود الجبال، يعش ابد الدهر بين الحفر :وصعود الجبال كناية على العلى والحفر كناية عن الذل.

– لابد للقيد أن ينكسر : وقد عبر بالقيد عن العبودية والرق والذل.

ونسأل في ختام ما هو دور الخيال والإنفعال في تلك الإستعارات والتشبيهات والكنايات؟ يبدو أن الشابي كمعظم الرومانسيين يعانق معاني الأشياء بالحلم والرؤيا والسراب والوهم، ينفعل ويتولى خياله إظهار إنفعالاته، موحدًا بين الشيء وما يماثله ناسبا أحدهما إلى الآخر، فخيال الشابي هو خيال مبدع مصور، يحتضن الإنفعال، فعالم الشابي في هذه القصيدة، عالم بعيد وراء حدودنا هو خيال جدي يعانق الأشياء ويؤديها لنا في فلذات قاطبة موجزة عميقة.

1 أبو القاسم الشابي : ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص 91.

هـ – الجانب الإيقاعي :

لقد أدت الإضافات المتكررة إلى نوع من الرتابة في الإيقاع الداخلي للقصيدة ، ضاعفته الصيغ المتشابهة المتلاحقة كقوله: فوق الفجاج وفوق الجبال، ليت المنى وخلعت الحذر، دماء الشباب.

ومعظم الأبيات تنطوي على إيقاعين متجاوبين فضلا عن إيقاع الروي كقوله : ودمدمت الريح بين الفجاج وفوق الجبال وتحت الشجر، فالفجاج والجبال على تفعيلة واحدة وصيغة واحدة وقد وردتا مكسورتين، مما ولد منهما إيقاعًا متشابها، أما روي الراء في لفظة "شجر" فإنه يتجاوب من روي البيت السابق في لفظة "مستتر"، وهكذا دوليك في معظم الأبيات.

ولعل للوزن المتقارب الذي تجري عليه القصيدة تأثيرا في ذلك، لأن تفاعيله تتكرر بذاتها "فعولن – فعولن"، ولاتتباين، فإذا لم يفطن الشاعر إلى إبداع النغم إنساق بتأثير التفعيلة الواحدة إلى النغم المتكرر الرتيب.

وقد جاءت القصيدة من البحر المتقارب :

إذ شْشَعب يومن | أراد لـ حياتا | فَلَاْ بُدْ دَ أنْ يستجيب لْقدر[1]

0II 0I0II | 0I0II | 0I0II | 0I0II

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعل

ولقد أحسن الشابي وأجاد في إختيار هذا البحر الذي حسن فيه قصيدته هذه لأنه يعبر عن الطموح والرغبة في الحياة.

أما القافية فجاءت متنوعة وذلك لتأثره بشعراء المهجر الذين ينوعون فيها كمَلمَح من ملامح التجديد، وفيما يخص الروي فقد جاء ثابتا ألا وهو حرف "الراء" الدال على الجهر فكان الشاعر إهتدى إلى هذا الحرف ليجهر برغبته في الحياة الكريمة وبطموحه إلى الحرية.

1 أبو القاسم الشابي : ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص 90.

بهذه القيم الوجودية يحيا الشابي حياته كذات إنسانية، وتحيا أمته في ذاته، بروح الوعي التاريخي الذي يدرك عن إيمان وثيق أن وجوده من وجود أمته وأن وجود أمته من وجوده، فيعالج قضاياها معالجة المحب، ويقسو على شعبه، ولكنها قسوة المبصر الذي يمتلك حساسية بكل شيء في الوجود، مجسدا ذلك تجسيدا إنسانيا.

وما كل شاعر بقادر على تحقيق تلك الإمكانية الوجودية، ولكن الشابي حققها عن وعي وإقتدار وخبرة، وكم أحب وطنه وأي محب هو.

خَاتِمَـــة

خاتمة :

يجمل بنا الآن بعد أن قطعنا أشواطا من العمل أن نرجع إلى الخلف ، وننظر إلى ما استطعنا تحقيقه من نتائج ، دون ادعاء الوصول إلى الغاية و استفراغ الموضوع ، لأن شعر أبي القاسم الشابي واسع ومواضيعه كثيرة و الأنواع التي أنتجها متغيرة ، يصعب على الباحث نوعا ما من الإلمام بها جميعا .

وإذا كان البحث الذي اعتمدت ، وسيلة للتعريف بالوطنية في الشعر عند الشابي فإن الهدف الأول كان البحث عن أبرز أعماله الشعرية الوطنية كخطوة لازمة واستكشاف بعض مميزات وخصائص تلك الأشعار ، من حيث هي نصوص شعرية ، رغم ما لها من صلة بظروف مختلفة بالغة ذات خصوصية أدبية وأسلوب فردي وثيق الصلة بالشعر الوطني .

فما أقل الأصوات التي تنطق من الأعماق ، كما ينطق صوته الخافت الهامس في قصائد الحب ، والعاصف الثائر في القصائد الوطنية ، أنه صوت عميق بقي من تلك القلة الخالدة من الشعراء والفنانين اللذين يغمسون أقلامهم وريشهم في الدماء ، ويرسمون بدم قلوبهم قبل أن يرسموا بالألفاظ والألوان ، وتلك الميزة لم تنلها إلى القلة التي اصطفاها الله لإبداع رسالة الفن ، ورد الناس إلى الحياة الفنية الرفيعة التي تجد فيها الشخصية الإنسانية امتدادها .

فعند الاستقراء الموضوعي لحياة الشابي باستنطاق الوثائق التي أرخت له تاريخا واقعيا ، وكذلك الاستقراء النقدي باستنطاق أدبي ولاسيما شعره بالنظر الباطني، يمكنان من استجلاء بعض المقومات التي انبتت عليها شخصيته بداية بالموهبة الشعرية التي ظهرت في شعره منذ صغره ، وقوة الإرادة وصلابة العزيمة التي تتجلى في تكوينه العصامي ، إضافة إلى الحساسية الفياضة التي كانت قاسما مشتركا بين الشعراء .

وكان أهم مظهر للتجديد عنده ، طريقته الفنية التي كانت تتوفر فيها البساطة مع ما لديه من قدرة ، فتأتي عبارته سلسة بعيدة عن الممارسات البديعية والمحسنات المتكلفة، وثمة ميزة أخرى له ذلك أنه خالف المجددين الذين يتناولون شعوبهم ساخرين من أوضاعهم.

فقد استطاع أن يبلغ الشابي وحدة عضوية في بعض شعره ، تتطور فيها القصيدة نحو الذروة ويعتمد نموها على جميع مكونات القصيدة ، ونجده في أغلب الأحيان لم يخرج عن نظام الشطرين و القافية الواحدة ، فكان بذلك شعره شعر الحياة دونما تمويه أو تصنع شعر التدفق الذي يصدر عن أعماق مشاعر المعاناة .

أما من الناحية الفنية الجمالية في قصائده التي أوردناها في المذكرة نلمس التجديد في اللغة والصور الشعرية والموسيقى ، فالشاعر يمتلك لغة بسيطة واضحة ، وهي الى جانب ذلك لغة شاعرة و معبرة ، أما من حيث التصوير فالشابي له حدس تصويري راق حتى لا نكاد نعثر على بيت واحد يخلو من صورة ما .

من صور الإبداع الموسيقي في شعر الشابي ، استخدامه لعدد من البحور الشعرية أكثر من غيرها ، كالخفيف والرمل مثلا ، وهذا نظرا لطبيعة النظام التفعيلي لهما ، الذي يتجاوب مع تجاربه النفسية و الوحدانية ، لاحتواء بعض هذه البحور على مقاطع صوتية طويلة تــارة وقصيرة تارة أخرى ، تفسر وعيا كبيرًا لدى الشاعر في تجاوبه مع حالات التوتـــر و الهدوء، التي تكون من حين لآخر .

إن إبداع الشابي من خلال الدفاع عن وطنه يبين بل يؤكد عمق التجربة الشعرية لديه وصدقها فهي بعمق جرح الوطن و غزارة دمائه النازفة ، وهمومه الطافحة ، فقد كانت آلام ومآسي وطنه تعذبه وتؤلمه ، فأجاد التعبير عنها أيماَ إيجاد.

فالقصائد التي تدور حول المقاومة في ديوان الشابي تتمحور 13 قصيدة أشعار وطنية – 10 قصائد في شعر الكفاح و النضال ضد الاستعمار – و 3 قصائد في

الشعر القومـــي فنستنتج أن معظم القصائد التي تدور في موضوع المقاومة تتمحور حول أشعار الوطنيـة وأن الوطن ظاهرة تبرز في أدب الشابي المقاوم .

الشابي رجل يسري في دمه حبه لوطنه و للحرية والكرامة ، فعند قراءتنا لشعره نجد فيـه همومـا روحيـة أكثـر مـاهي ماديـة ، وكـان حزينـا وهذا الحـزن امتـدت جذوره إلـى واقـع المجتمع الذي كان يثير الكآبة و الحزن في نفسه ، فجسد هذه الأحزان و الهموم ونسجها في أشعاره فتمثلت تلك الوطنية .

ويبقـى بعـدما تقدم أن نـذكر الشـابي عنـد قراءتنـا لـلأدب عامـة وللشـعر خاصـة ، أنـه الأديب الذي أدب نفسه بكل ما هو قديم من مدرسة التراث القديم ، وهو الشاعر الذي صدح بشعره المتجدد العذب فوق أفنان الإبداع الخلاق ، فأطرب الغرب بنغم من الشرق، ولقح الشرق بتيار التجديد القادم من الغرب فهتف من لسعة تلك اللقحة بكلمات مشاعر هائجة لايزال صخبها يرن في آذان عصرنا .

وفي الأخير نتمنى أن نكون قد وفّينا هذه الدراسة بعض ما تستحق .

الملاحق

قصيدة النبي المجهول

أيْها الشعبُ! ليتني كنتُ حطَّابــاً ... فأهوي على الجــذوعِ بفأسي!
ليتَني كنتُ كالسيّولِ، إذا سالَــتْ ... تهدُّ القبورَ: رمْســاً برمْــسِ!
ليتَني كنتُ كالريّاح، فأطــــوي ... كل ما يخنق الزهور بنــحسي
ليتني كنتُ كالشّتاء، أُغَشِّـــي ... كل ما أَذْبَلَ الخريفُ بــقرسي!
ليتَ لي قوَّةَ العواصفِ، يا شعبــي ... فأُلقي إليكَ ثَوْرةَ نفــــسي!
ليت لي قوةَ الأعاصيرِ، إن ضجَّتْ ... فأدعوكَ للحياةِ بنبســـــي!
ليت لي قوةَ الأعـاصيرِ..! لكْــن ... أنتَ حيٌّ، يقضي الحياة برمسِ..!
أنتَ روحٌ غَبِيَّةٌ ، تكره النـــوّر، ... وتقضي الدهور في لــيل مَلْس...
أنتَ لا تدركُ الحقائقَ إن طافــتْ ... حواليــكَ دون مسّ وجـــس
في صبـاح الحياةِ ضَمَّخْتُ أكوابي ... وأترعتُها بخمرةِ نفســـي...
ثُمَّ قدَمْـتُها إليـــكَ، فأهـرقْتَ ... رحيقي، ودُستَ يا شعبُ كأسي!
فتألَّمت..، ثَمَّ أسكتُّ آلامـــي، ... وكفكفتُ من شعوري وحسّــي
ثُم نَضَّدْتُ من أزاهيرِ قلبـــي ... باقةً ، لمْ يَمَسَّها أيُّ إنْسِـــي...
ثم قدّمْتُـــها إليــكَ، فَمــزَّقْتَ ... ورودي، ودُستَـــــها أيَّ دوسِ
ثم ألبَسْتَني مِنَ الحُزْنِ ثـــوباً ... وبشوْك الجِبال توَّجتَ رأســي
إنني ذاهبٌ إلى الغابِ، ياشعبي ... لأقضي الحياة،وحــدي ،بيأس
إنني ذاهبٌ إلى الغابِ، عــليَّ ... في صميم الغابات أدفنُ بؤسي
ثم أنْسَاكَ ما إستطعتُ، فما أنت ... بأهْلِ لخمرتي ولكَأســـي
سوف أتلو على الطُّيور أناشيدي، ... وأُفضي لها بأشواق نَفْســي
فَهْي تدري معنى الحياة ، وتدري ... أنّ مجدَ النُّفوسِ يَقْظَةُ حِسِّ[1]

1 أبو القاسم الشابي : ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص ص 117- 118.

ثم أقْضي هناك، في ظلمة الليل، وأُلقي إلى الوجـــود بيأسي
ثم تَحْتَ الصَّنَوْبَر، النَّاضر، الحلو، تَخُطُّ السُّيولُ حُفرةَ رمســي
وتظَلُّ الطيورُ تلغو على قبــرْي ويشدو النَّسيمُ فوقي بهمــس
وتظَلُّ الفصولُ تمْشي حـــواليَّ، كما كُنَّ في غَضارَة أمْســي
أيّها الشّعبُ! أنتَ طفلٌ صغيرٌ، لاعبٌ بالتُّرابِ والليلُ مُغْسِ...!
أنتَ في الكَوْنِ قوَّةٌ ، لم تَسْسها فكرةٌ ، عبقريَّةٌ ، ذاتُ بأسِ
أنتَ في الكَوْنِ قوةٌ ،كبَّلتْـــها ظُلُمَاتُ العُصور، مِنْ أمس أمسِ...
والشقيُّ الشقيُّ من كان مثلــي في حَسَاسِيَّتي، ورقَّةِ نفسي
هكذا قال شاعرٌ، ناولَ النَّاسَ رحيقَ الحياةِ في خير كـأسِ
فأشاحُوا عنْها، ومرُّوا غِضــابا واستخفُّوا به، وقالوا بيــأس:
" قد أضاعَ الرشّادُ في ملعب الجِنّ فيا بـــؤسهُ، أصيب بمسّ"
" طالما خاطبَ العواطفَ في الليلِ وناجى الأموات في غير رمسِ "
طالما رافقَ الظلامَ إلى الغــيابِ ونادى الأرواحَ مِن كلِّ جِنْس
طالما حدَّثَ الشياطينَ في الوادي، وغنّى مـع الرِّيــاح بــجَرسِ"
"إنـــه ساحــرٌ، تعلّمــه السـحرَ الشياطينُ، كلَّ مطلع شمسْ
فأبعِدوا الكافرَ الخبيثَ عن الهيكلِ إنّ الخَبيثَ مـنبــعُ رِجْـــسِ
أطـــردوه، ولا تُصــيخــوا إليه فهو روحٌ شريِّرةٌ ، ذات نحْسِ"

* * *

هكَذا قَال شاعرٌ، فيلسوفٌ، عاشَ في شعبه الغبيِّ بتَعْسِ
جَهِلَ الناسُ روحَه، وأغانيها فساموُا شعورَه ســومَ بخـسِ
فَهْوَ في مَذهبِ الحياةِ نبيٌّ وَهْوَ في شعبهِ مُصَابٌ بمسِّ
هكذا قال، ثمّ سَار إلى الغابِ، ليَحْيا حــياة شعرٍ وقُــدْسِ[1]

1 أبو القاسم الشابي :ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله،ص ص118-119.

وبعيداً..، هناك..، في معبد الغاب ... الــذي لا يُظِلُّه أيُّ بُــؤْسِ
في ظلال الصَّنوبرِ الحلوِ، والزّيتونِ ... يقْضي الحياةَ : حرْساً بحرْسِ
في الصَّباح الجميل، يشدو مع الطّير، ... ويمْشي في نشوةِ المتحــسِّي
نافخاً نـــــايَه، حـــوالْيه تهـتزُّ ... ورودُ الرّبيع منْ كــلِّ قــنسِ
شَعْرُه مُرْسَلٌ– تداعُبه الرّيـــــحُ ... على منكـبْيه مــثلَ الدُّمــقُسِ
والطُّيورُ الطِّرابُ تشدو حواليــه ... وتلغو في الدَّوحِ، مِنْ كُلِّ جنسِ
وترا عند الأصيل، لدى الجدول، ... يرنو للطَّـــــائرِ المتحــسِّي
أو يغنِّـــــي بين الصَّـــنوبرِ، ... أو يرنو إلى سُدْفَة الظَّلامِ الممسّي
فإذا أقْبَلَ الظلامُ، وأمســـــتْ ... ظلماتُ الوجودِ في الأرض تُغسي
كان في كوخه الجميل، مقيماً ... يَسْألُ الكونَ في خشوعٍ وَهَمْسِ
عن مصبِّ الحياةِ ، أينَ مَدَاهُ؟ ... وصميمِ الوجودِ، أيَّان يُرسي؟
وأريجِ الـلوُرودِ في كـــــلِّ وادٍ ... ونَشيدِ الطُّيورِ، حين تمسِّي
وهزيمِ الرِّيــاح، فـــي كلِّ فَجٍّ ... وَرُسُومِ الحياةِ من أمس أمسِ
وأغاني الرعـــاةِ أين يُواريها ... سُكونُ الفَضا، وأيَّان تُمْسي؟؟
هكذا يَصْرِفُ الحيـاةَ ، ويُفْني ... حَلَقات السنين: حَرسْاً بحرْسِ
يا لها من معيشةٍ في صميم الغابِ ... تُضْحي بين الطيور وُتْمْسي!
يا لها مِنْ معيشةٍ ، لم تُدَنّسْـهَا ... نفوسُ الورى بخُبْثٍ ورِجْسِ!
يا لها من معيشةٍ ، هيَ في الكون ... حياةٌ غريبةٌ ، ذاتُ قُدسِ [1]

1 أبو القاسم الشابي : ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص ص 119–120.

قصيدة إرادة الحياة

إذا الشـعبُ يومًـا أراد الحيـاة فـلا بـدّ أن يسـتجيب القدرْ
ولا بـدَّ لليـل أن ينجـلي ولا بـدّ للقيـد أن ينكسـرْ
ومـن لـم يعانقْه شوْقُ الحياة تبخَّـرَ فـي جوِّهـا واندثرْ
فويل لمـن لـم تَشُـقهُ الحياة مـن صفْعـة العدَم المنتصرْ
كـذلك قـالت لـيَ الكائنـاتُ وحـدثني روحُهـا المسـتترْ

*****

ودمـدمتِ الرِّيحُ بيـن الفِجـاج وفـوق الجبـال وتحت الشـجرْ:
إذا مـا طمحتُ إلـى غايـةٍ ركبتُ المُنـى, ونسِيت الحذرْ
ولـم أتجنَّب وعـورَ الشِّعاب ولا كُبَّـةَ اللّهَـب المسـتعرْ
ومن يتهيب صعود الجبال يعش أبَدَ الدهر بيـن الحفرْ
فعجَّتْ بقلبـي دمـاءُ الشباب وضجَّت بصدري ريـاحٌ أخَرْ...
وأطرقتُ, أصغي لقصف الرعودِ وعزفِ الريـاحِ, ووقعِ المطرْ

*****

وقالت لـي الأرضُ – لما سألت: أيـا أمُّ هل تكرهين البشـرْ؟
أُبـارك فـي النـاس أهلَ الطموح ومـن يسـتلذُّ ركـوبَ الخـطرْ
وأَلْعنُ مـن لا يماشـي الزمانَ ويقنـع بـالعيْشِ عيشِ الحجَرْ
هـو الكونُ حيٌّ، يحبُّ الحياة ويحتقر المَيْتَ، مهمـا كبُرْ
فـلا الأفْق يحضن ميْتَ الطيورِ ولا النحلُ يلثم ميْتَ الزهرْ
ولـولا أمُومـةُ قلبِـي الرّؤوم لَمَـا ضمّـتِ الميْتَ تلك الحُفَرْ
فويلٌ لمـن لـم تشُـقه الحيـاة مِـن لعنـة العـدم المنتصِـرْ! [1]

*****

1 أبو القاسم الشابي : ديوان أبي القاسم الشابي، ص ص 90-91.

وفي ليلة من ليالي الخريف مثقَّلةٍ بالأسى، والضجرْ
سكرتُ بها من ضياء النجوم وغنَّيْتُ للحُزْن حتى سكرْ
سألتُ الدُّجى: هل تُعيد الحياةُ، لما أذبلته، ربيعَ العمرْ؟
فلم تتكلّم شفاه الظلام ولم تترنَّمْ عذارى السَّحَرْ
وقال ليَ الغابُ في رقَّةٍ مُحَبَّبَةٍ مثل خفْق الوترْ:
يجئ الشتاءُ، شتاء الضباب شتاء الثلوج، شتاء المطرْ
فينطفئُ السِّحرُ، سحرُ الغصونِ وسحرُ الزهورِ، وسحرُ الثمرْ
وسحرُ السماءِ، الشجيُّ، الوديعُ وسحرُ المروجِ، الشهيُّ، العطِرْ
وتهوِي الغصونُ، وأوراقُها وأزهارُ عهدٍ حبيبٍ نضِرْ
وتلهو بها الريحُ في كل وادٍ، ويدفنُهَا السيلُ، أنَّى عبرْ
ويفنى الجميعُ كحُلْمٍ بديعٍ، تألّق في مهجةٍ واندثرْ
وتبقى البذورُ، التي حُمِّلَتْ ذخيرةَ عُمْرٍ جميلٍ، غَبَرْ
وذكرى فصولٍ، ورؤيا حياةٍ، وأشباحَ دنيا، تلاشتْ زُمَرْ
معانقةً – وهي تحت الضبابِ، وتحت الثلوجِ، وتحت المَدَرْ–
لِطَيْفِ الحياةِ الذي لا يُمَلُّ وقلبِ الربيعِ الشذيِّ الخضِرْ
وحالمةً بأغاني الطيورِ وعِطْرِ الزهورِ، وطَعمِ الثمرْ

*****

ويمشي الزمانُ، فتنمو صروفٌ، وتذوِي صروفٌ، وتحيا أُخَرْ
وتُصبِحُ أحلامُها يقظَةً، مُوَشَّحةً بغموضِ السَّحَرْ
تُسائل: أين ضبابُ الصباحِ، وسِحْرُ المساء؟ وضوء القمرْ؟
وأسرابُ ذاك الفَراشِ الأنيق؟ ونحلٌ يغنِّي، وغيمٌ يمرْ؟[1]
وأين الأشعَّةُ والكائناتُ؟ وأين الحياةُ التي أنتظرْ؟

1 أبو القاسم الشابي : ديوان أبي القاسم الشابي، ص ص 91–92.

ظمِئتُ إلى النور، فوق الغصونِ! ظمِئتُ إلى الظلِ تحت الشجرْ!
ظمِئتُ إلى النَّبْعِ، بين المروجِ، يغنِّي، ويرقص فوقَ الزّهَرْ!
ظمِئتُ إلى نَغَماتِ الطيورِ، وهَمْسِ النّسيمِ، ولحنِ المطرْ
ظمِئتُ إلى الكونِ! أين الوجودُ وأنَّى أرى العالَمَ المنتظرْ؟
هو الكونُ، خلف سُباتِ الجمودِ وفي أُفقِ اليقظاتِ الكُبَرْ

*****

وما هو إلا كخفقِ الجناحِ حتى نما شوقُها وانتصرْ
فصَدّعت الأرضَ من فوقها وأبْصرتِ الكونَ عذبَ الصُّوَرْ
وجاء الربيعُ، بأنغامِه، وأحلامِه، وصِباه العطِرْ
وقبَّلها قُبَلاً في الشفاهِ تعيدُ الشبابَ الذي قد غَبَرْ
وقال لها: قد مُنِحْتِ الحياةَ وخُلِّدْتِ في نسلكِ المُدّخَرْ
وباركَكِ النُّورُ، فاستقبلي شبابَ الحياةِ وخِصْبَ العُمُرْ
ومَن تعبدُ النورَ أحلامُه، يُبَارِكُهُ النّورُ أنّى ظهرْ
إليكِ الفضاءَ، إليكِ الضياءَ إليك الثرى، الحالمَ، المزدهرْ!
إليكِ الجمالَ الذي لا يَبيدُ! إليكِ الوجودَ، الرحيبَ، النضِرْ!
فميدي – كما شئتِ – فوق الحقولِ، بحلوِ الثمارِ وغضِّ الزّهَرْ
وناجي النسيمَ، وناجي الغيومَ، وناجي النجومَ، وناجي القمرْ
وناجي الحياةَ وأشواقَها، وفتنةَ هذا الوجود الأغرْ[1]

*****

وشفَّ الدجى عن جمالٍ عميقٍ، يشُبُّ الخيالَ، ويُذكي الفِكَرْ
ومُدّ على الكون سِحرٌ غريبٌ يُصَرّفه ساحرٌ مقتدرْ

1 أبو القاسم الشابي : ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص ص92–93.

وضاءت شموعُ النجومِ الوِضاءِ، وضاع البَخُورُ، بخورُ الزّهَرْ
ورفرف روحٌ، غريبُ الجمال بأجنحةٍ من ضياء القمرْ
ورنَّ نشيدُ الحياةِ المقدّسُ في هيكلٍ، حالمٍ، قد سُحِرْ
وأعْلِنَ في الكون: أنّ الطموحَ لهيبُ الحياةِ، ورُوحُ الظفَرْ
إذا طمحتْ للحياةِ النفوسُ فلا بدّ أنْ يستجيبَ القدر![1]

1 أبو القاسم الشابي : ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص ص 93-94.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

*** القرآن الكريم.**

أ- المصادر :

1. أبو القاسم الشابي : الديوان، تحقيق ايميل أ.كبا، ط1، ج1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1997م.
2. أبو القاسم الشابي: الديوان ،تحقيق أحمد حسن بسج ، ط4،دار الكتب العلمية، بيروت،2005م.
3. أبو القاسم الشابي: ديوان ابي القاسم الشابي ورسائله ،تحقيق مجيد طراد،ط2، دار الكتاب العربي،1994م،بيروت.
4. أبو القاسم الشابي: الديوان ، شرحه وقدمه أحمد حسن بسج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 1999م.

ب – المراجع :

1. إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ط1، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2003م.
2. إبراهيم رضوان: التعريف بالأدب التونسي،دط، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1977م .
3. إحسان عباس : فن الشعر، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1955م.
4. أحمد أبو حاقة :الالتزام في الشعر العربي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت ، 1979.
5. أحمد زكي أبو شادي : قضايا الشعر المعاصر، د ط، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.
6. أحمد شوقي : الشوقيات،د ط ، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت،دت.
7. إميل ناصيف : أروع ماقيل في الوطنيات، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م.
8. أنور رفاعة وآخرون : دراسات في المجتمع العربي، مطبعة جامعة دمشق، 1967م.

9. إيليا الحاوي : أبو القاسم الشابي شاعر الحياة والموت، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1972م.

10. إيليا حاوي : أعلام شعر عربي الحديث، أحمد شوقي، أحمد زكي أبوشادي، بشاره الخوري، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1970م.

11. تركي رابح : التعليم القومي والشخصية الوطنية – دراسة تربوية للشخصية الجزائرية– ،ط2، الشركة الوطنية للطبـــع والتوزيع، 1981م.

12. جمال الدين الرماوي : أعلام الأدب المعاصر، دط، دار الفكر العربي،دت.

13. حافظ إبراهيم : الديوان ، دط، ج2، دار العودة، بيروت، 1937م.

14. حطيط كاظم :أعلام ورواد لأدب العربي،ط1،ج2،مكتبة الدار العربية للكتاب،2003.

15. حميد يونس وفتحي حسن المصري : في الأدب المغربي المعاصر، ط1، دار المعارف، القاهرة.

16. خليل مطران : الديوان ،دط، ج2، دار الجيل، بيروت،دت.

17. رضوان إبراهيم: التعريف بالأدب التونسي،دط، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1977.

18. سحر عبد الله عمران: أبو القاسم الشابي عبقرية فريدة وشاعرية متجددة (بمناسبة الذكرى المئوية لميلاده) دراسة ومختارات،د ط، دار البعث، دمشق، 2009.

19. سعيد الورقي : لغة الشعر العربي الحديث، ط3، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1984م.

20. عبد السلام المسدي: قراءات مع الشابي والمتنبي الجاحظ وابن خلدون، ط4، دار سعاد الصباح، الكويت ،1993.

21. سلمى الخضراء الجيوشي : الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤ، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2001م.

22. عباس بن يحي:مسار الشعر الحديث و المعاصر،دار الهدى،عين مليلة ،الجزائر،2004.

23. عباس صادق : موسوعة أمراء الشعر العربي، ط1، دار اسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2002.

24. عباس ومصطفى رسام : تراجم الشعراء والأدباء، دط، مطبعة نجاح جديدة، الدار البيضاء، الجزائر، 2005م.

25. عبده بدوي : دراسات في النص الشعري (العصر الحديث)، دط، دار قباء، القاهرة، 1997.

26. عبد العزيز النعماني : رحلة طائرة في دنيا الشعر، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1977.

27. عبد العزيز النعماني: أبو القاسم الشابي رحلة طائر في دنيا شعر، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1997.

28. عمر الدسوقي :في الأدب الحديث،ط1،ج2،دار الفكر العربي،القاهرة،2000.

29. عمر فروخ :الشابي شاعر الحياة والموت،دار العلم للملايين،بيروت،دت.

30. عبد عون الرضوان: الشعراء العرب في القرن العشرين– حياتهم، شعرهم، أثارهم–، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، أردن، 2005.

31. عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي الحديث، ط3، دار النهضة العربية، لبنان، (دت).

32. أبو القاسم الشابي: الخيال الشعري عند العرب، كلمات عربية للترجمة والنشر، قاهرة، 2013.

33. أبو القاسم الشابي: مذكرات أبو القاسم الشابي ،دط ،مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012.

34. أبو القاسم محمد كرو : الشابي، حياته– شعره، ط1، المكتبة العلمية ومطبعتها، 1952م.

35. كاظم حطيط : أعلام ورواد الأدب العربي، ط1 ، ج2، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2003.

36. عبد الله كنون : أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، دط، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، المغرب،1984.

37. عبد المجيد الحر: أبو القاسم الشابي كوكب السحر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995.

38. محمد التليسي خليفة : الشابي وجبران، ط4 ،الدار العربية للكتاب، 1978.

39. محمد الصادق عفيفي : الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث، ط1، دار الكشاف للنشر والتوزيع، بيروت، 1969م.

40. محمد الصالح الجابري: الشعر التونسي المعاصر 1870-1970، دط، الشركة التونسية للتوزيع ، 1974.

41. محمد بنيس : الشعر العربي الحديث بنياته وابدالاته، ط2، ج2، دار توبقال، الرباط، المغرب، 1990-1991م.

42. محمد بوزواوي: معجم الأدباء والعلماء المعاصرين من 1798- 2009، د ط، الدار الوطنية للكتاب، الجزائر، 2009.

43. محمد عبد المنعم خفاجي : النقد الأدبي الحديث ومذاهبه، دط، دار العودة، لبنان، 1973.

44. محمد عبد المنعم خفاجي : دراسات في الادب العربي الحديث ومدارسه، ط1، ج1، دار الجيل، بيروت، 1992.

45. محمد عبد المنعم خفاجي : مدارس النقد الادبي الحديث، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1995.

46. محمد عبد المنعم خفاجي: حركات التجديد في الشعر الحديث، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية ،2002م.

47. محمد علي سلطاني : العروض وموسيقى الشعر العربي، دط، المطبعة الجديدة، دمشق، (198-1982).

48. محمد فريد غازي: أبو القاسم الشابي من خلال يومياته، ط2، الدار التونسية للنشر،1983م.

49. منجد في اللغة والإعلام : ط21، دار المشرق، بيروت، 1973م.

50. نجيب البعيني: موسوعة شعراء العرب المعاصرين – دراسات ومختارات – ط1، دار المناهل، بيروت، لبنان 2003م.

51. نسيب النشاوي: مدخل إلى دراسة المدراس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989م.

52. نعمات أحمد فؤاد : شعب وشاعر أبو القاسم الشابي، د ط، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1985.

53. هاني الخير: أبو القاسم الشابي شاعر الحياة والخلود، ط1، دار فليتس للنشر والتوزيع ،الجزائر، 2008.

54. وهيب طنوس : الوطن في الشعر العربي – من الجاهلية إلى نهاية قرن ثاني عشر ميلادي– ط1، 1975–1976.

55. يحي مراد : معجم تراجم الشعراء الكبير، دط، ج1، دار الحديث، القاهرة، 2006.

56. يوسف حسن نوفل : موسوعة شعر عربي حديث والمعاصر، ط1، مؤسسة المختار،القاهرة ،2005.

57. يوسف ناوي : الشعر الحديث في المغرب العربي، ط1، ج1، دار توبقال للنشر، المغرب،2006.

جـ– الرسائل والأطروحات :

1. عزيز لعكايشي: مظاهر الابداع الفني في شعر أبي القاسم الشابي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير،اشراف سعد الدين الجيزاوي، معهد الأداب والثقافة العربية، جامعة قسنطينة، 1980.

د– المعاجم والقواميس :

1. جمال الدين محمد إبن مكرم بمنظور : لسان العرب، تحقيق عبد الله الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دط، دار المعارف، القاهرة،دت.

2. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي : القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف نعيم العرقسوسي، ط8، باب الثاء، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2005.

هـ – المقالات والمجلات :

1. عدد خاص بخمسينية الشابي– مجلة الفكر ، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، عدد 30 نوفمبر 1984.

فهرس

فهرس الموضوعات

الفهرس	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
مدخل تمهيدي	
1-الوطن	06
أ- لغة	06
ب- إصطلاحا	06
2- الوطنية.	07
أ- مفهومها.	07
ب- خصائصها.	08
ج- مميزاتها.	08
3- الشعر الوطني العربي.	08
أ- تعريفه.	08
ب- مظاهره.	09
- النزعة العربية.	09
- النزعة اللإقليمية.	10
ج- أنواعه.	12
1- شعر الحنين إلا الوطن.	12
2- شعر المقاومة.	13
3- شعر مديح الأوطان و البلدان.	13
د- رواده.	15
1 - أحمد شوقي.	15
2- حافظ إبراهيم.	16
3- خليل مطران.	17
4- محمود درويش.	18
5- بشارة الخوري.	19
6- أحمد محرم .	20
7- عبد الكريم بن ثابت .	21
8- مفدي زكرياء.	22

فهرس الموضوعات

الفصل الأول: أبو القاسم الشابي حياته وشعره.	
1- حياته .	25
أ- مولده وأسرته .	25
ب- مرضه ووفاته .	27
2- ثقافته .	30
أ- دراسته.	30
ب- شخصيته .	31
ج- مكانته وآثاره.	33
3- شعر الشابي وخصائصه.	36
4- مواضيع ومراحل شعره .	38
أ - المواضيع .	38
ب- المراحل .	40
5 - آراء نقدية حول الشابي .	41
الفصل الثاني: تجليات البعد الوطني في شعر الشابي.	
1/ الوطنية وخصائصها في شعر الشابي .	46
أ- أثر الأدب المهجري في شعر الشابي.	46
ب- الوطنية من منحى أبي القاسم الشابي.	48
1- المنظور القومي.	49
2- سخطه على الشعب التونسي.	52
3- الغربة و الهجرة إلى الغاب.	52
4- موقفه من الاستعمار.	54
5- موقفه من الحرية.	55
2/ دراسة فنية جمالية لقصيدتي "النبي المجهول"و"إرادة الحياة"	58
أ- موضوع الثورة في قصيدة "النبي المجهول".	58
1- تحليل القصيدة.	60
2- البنية المعجمية للقصيدة.	63
3- أهم الخصائص الأسلوبية في القصيدة .	65
4- الصورة الشعرية.	66
5- الموسيقى.	69
ب- موضوع الحرية في قصيدة "إرادة الحياة".	74

فهرس الموضوعات

1- البنية المعجمية للقصيدة .	74
أ- بنية الطموح.	74
ب- بنية الاحتقار.	75
ج- بنية الحيرة.	76
د- بنية التحدي.	76
هـ- بنية الفناء.	77
2- أهم الخصائص الأسلوبية.	79
أ- التكرار.	79
ب- البنية المعجمية.	79
ج- التركيب النحوي.	80
د- التركيب البلاغي.	80
هـ-الجانب الإيقاعي.	82
خاتمة.	85
الملاحق.	89
قائمة المصادر و المراجع.	
فهرس الموضوعات.	

ملخص البحث بالعربية :

الملخص:

الشعر الوطني غرض حديث، وليد ظروف سياسية و إقتصادية وإجتماعية من بها العرب في بداية العص الحديث فقد عاشت الشعوب العربية تجربة الإستعمار وقد أفرز هذا الوضع جلة من المفكرين والأدباء والشعراء ، تبلور لديهم وعي عميق بتدهور الحياة فهبوا داعين إلى النهوض والتطور فإستهضوا الهمم بكنايات وأشعار ومن أبرز هؤلاء أبو القاسم الشابي وعليه يروم البحث الموسوم ب- البعد الوطني في شعر الشابي (دراسة فنية نقدية) - الكشف عن جماليات الشعر الوطني متخذا أبو القاسم الشابي أنموذجا للدراسة.

ملخص البحث بالفرنسية :

Résumé

La Poésie National est une poésie moderne produit par des conditions politiques et économiques et sociales vécues par les Arabes au début de l'ère moderne était les peuples arabes ont vécu l'expérience du colonialisme, cette situation a produit un certain nombre d'intellectuels, écrivains et poètes, cristallisé avec une profonde conscience de la dégradation de la vie . c est pour ca on appelant à l'avancement et le développement et de motivation poèmes et le plus important parmi ceux-ci Abou El Kacem Chebbi Dimension nationale dans la poésie d'Abou El Kacem Chebbi . c'est pour ce la Le sujet traite la dimension nationale dans la poésie d'Abou El Kacem Chebbi.